

العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE



الغدیر

مجلة علمية متخصصة تصدر في ذكرى عيد الغدير الأغر
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مجلة علمية متخصصة تصدر
في ذكرى عيد الغدير الأغر

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

- المشرف العام: السيد عيسى الخرسان
- رئيس التحرير: د. محسن عبد العظيم الظالمي
- مدير التحرير: د. حسين فاضل الحكيم
- سكرتير التحرير: هشام أموري السماك
- المحررون:
- - هاشم محمد الباجي - حيدر رزاق الكعبي
- - عبد الحسن هادي الشافعي
- - التصحيح اللغوي: د. ستار عبدالله العيداني
- - الإخراج الفني والتصميم: أحمد مكي القريشي





السيد عيسى الخرسان

الأمين العام

ذكرى التاج العلوي

كي لا تتحول الشريعة إلى منبرٍ
تتنازعه الأهواء، وينزو عليه
الدخلاء. ولهذا اقترنت الولاية في
النص القرآني بكمال الدين وتمام
النعمة، لأن بقاء الرسالة محفوظة
في وعي الأمة ومسيرتها متوقف
على وجود الامتداد الذي يحمل
حقيقتها ويصون جوهرها.

نبارك لمحبي أهل البيت عليهم السلام عيد
آل محمد (صلى الله عليه وعليهم)،
وندعو الله مبتهلين بأن ينصرنا
ويثبت أقدامنا على طريق ذات
الشوكة، وأن يعجل لوليّه الموعود
الفرج والعافية والنصر، والحمد لله
الذي جعلنا من المتمسكين بولاية
أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

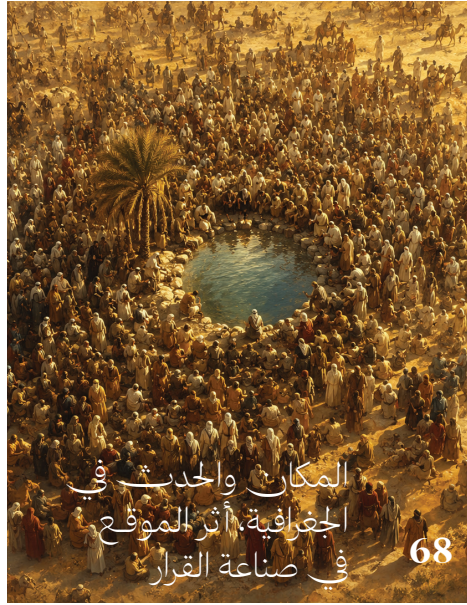
تمرّ علينا في هذه الأيام الذكرى
العطرة لعيد الله الأكبر، عيد الغدير
الأغر، فتعود معها الحقيقة التي
أرادها النبي الأعظم صلى الله عليه
وآله، أن تبقى حاضرة ضمير الأمة
الإسلامية؛ ألا وهي حقيقة الولاية
لمولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام،
وذلك بوصفها الامتداد الطبيعي
للمسالة، والحافضة لمعانيها، والمؤتمنة
على مقاصدها الكبرى في هداية
الإنسان، وإقامة العدل، وصيانة
الدين من الشبهة والعوج.

لقد جاء الغدير في اللحظة التي
اكتمل فيها بناء الرسالة، ليحدد
للأمة معالم الطريق بعد انقطاع
الوحي، ويؤسس لمبدأ المرجعية
المرتبطة بالعصمة والهداية الإلهية،

خصائص حديث
الغدير في التراث
الإسلامي



24



المكان والحديث في
الجغرافية، أثر الموقع
في صناعة القرار

68

شبهة تأخير
التفسير الشيعي
لواقعة الغدير



142

الشاكرون لنعمة الولاية - دراسة ترابطية في ضوء النص القرآني م. د يوسف علي الفتلاوي	12
خصائص حديث الغدير في التراث الإسلامي وأثره في بناء نظرية الولاية - دراسة تحليلية موثقة أ.م.د. علي نيكوكار	24
راي علماء السنة في حديث الغدير	34
دراسة نصّ حديث الغدير وأسانيده ومكانته في نظر أهل السنة د. محمد إسماعيل عبد الله	42
البیعة والوصیة بالإمامة - قراءة مقارنة للمفهومين في واقعة الغدير أ.م.د. أسعد عبد الرزاق الأسدي	48
الإمامة الإلهية (دراسة تحليلية في ضوء العقل والنقل) أ. د. جاسم هاتو الموسوي	56
المكان والحدث في الجغرافية، أثر الموقع في صناعة القرار - غدير خم انموذجا م.م. دعاء صاحب جاسم سراج الفزوي	68
التسلسل التاريخي للأحداث بعد انتهاء حجة الوداع حتى إعلان وصاية أمير المؤمنين علي عليه السلام في غدير خم الدكتورة فاطمة أبو حمزة	81
واقعة الغدير دراسة تاريخية تحليلية للواقعة م. د فاطمة حمدان عبادي	90
ماذا يمثل لكم يوم الغدير	100
قبل أن تتفرّق الطرق د. فائق عبد الحسين الشمري	110
تهنئة الشيخين يوم الغدير ودلالاتها على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام أ.م.د. ضرغام علي محسن	116
مولی به الله یهدی کل حیران السريجي الأوالي	124
جوهری الوجود الشيخ عبد الحميد السماوي	125
یا صاحب المجد أبيات مختارة للشاعر الشيخ هاشم الكعبي..	126
هو الآیة الكبرى سليمان بن داود المزيدي	127
تجسيد الحدث الديني في السينما: يوم الغدير أنموذجاً للغياب د. علاء المرعي	128
شبهة تأخر التفسير الشيعي لواقعة الغدير	142

توظيف النص القرآني عند السيد محمد باقر السيستاني قراءة في آتي التبليغ والإكمال



تُعَدّ واقعة الغدير من الأحداث المفصلية في التاريخ الإسلامي، وقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بآيتين قرآنتين: آية التبليغ وآية الإكمال، إلا أن تباين الروايات حول سبب نزول آية التبليغ، وتعدد الأقوال في زمن نزول آية الإكمال، خلق إشكالاً منهجياً في تحديد الحدث القرآني المحوري الذي أعلن فيه النبي ﷺ ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فواقعة الغدير تمثل إعلاناً إلهياً بأمر مباشر ﴿بَلِّغْ﴾، وفهم الواقعة في ضوء النص القرآني يعدّ أصلاً عقدياً مرتبطاً بمفهوم اكتمال الدين وحفظ الرسالة إلى يوم القيامة؛ لذا تناولت كتب التفسير والسيرة والحديث الواقعة عرضاً وتحليلاً، ويبرز كتاب (واقعة الغدير: ثبوتها ودلالاتها) للسيد محمد باقر السيستاني كأحد أهم المؤلفات المعاصرة التي وظّفت النص القرآني في بيان المطالب العقديّة في آيتي التبليغ.

إذ يعتمد السيد محمد باقر منهجاً تكاملياً في الاستدلال على البيعة يقوم على ثلاث ركائز هي: جمع روايات سبب النزول، ثم التحليل اللغوي، ثم الربط المنطقي بين الآيات، للوصول إلى دراسة تحليلية علمية في ربط دلالات الألفاظ القرآنية بالقرائن التاريخية المتواترة، فيتم في منهجه استنطاق القرآن لصالح واقعة الغدير، وتبيين دلالات آيتي التبليغ والإكمال في سياق الغدير لغوياً وتاريخياً، وإثبات التكامل الدلالي بين أمر التبليغ وإعلان الإكمال.

فينطلق السيد محمد باقر السيستاني من قاعدة تفسيرية مفادها: أن القرآن كتاب هداية ودلالاته لا تنحصر بالمعنى اللغوي المجرد، وإنما تتوسع بالقرائن الخارجية المتواترة التي تحدد المراد الإلهي من طريق التوظيف الحي لمشهد الواقعة التاريخي، فيرى أن «الاستحضار الحي لمشهد واقعة الغدير يؤدّي إلى الانتباه إلى طبيعة دلالات هذه الواقعة وحجم تأكدها ووضوحها في إبراز مكانة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجماهير المسلمين، وأني أعتقد يقيناً أن التأمل الصادق من جمهور المسلمين لهذه الواقعة كما لو كانوا قد حضروها في حينها كافٍ في الانتباه لدلالاتها ومفهوم الخطبة فيها»^(١).

من هنا تتضح ملامح الآليات المنهجية في توظيف النص القرآني في منهج السيد محمد باقر السيستاني، المتمثلة بالآتي:

أولاً: إثبات سبب النزول بالروايات المتواترة

يجمع المؤلف روايات أسباب النزول من كتب التفسير والحديث السنية قبل الشيعة، ليقطع بأن آية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [المائدة: ٦٧]، نزلت في غدير خم، ويستند إلى مصادر معتمدة مثل الثعلبي في الكشف والبيان، والواحدي في أسباب النزول، والسيوطي في الدر المنثور^(٢)، كما ينقل عن الطبراني بإسناد صحيح رواية زيد بن أرقم^(٣).

وكذا الحال في آية إكمال الدين ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ [المائدة: ٣]، يركّز على إثبات أنها نزلت في غدير خم بعد بيعة الغدير، مستنداً إلى روايات الحاكم النيسابوري والطبراني وابن كثير^(٤).

ثانياً: التحليل اللغوي الدقيق لألفاظ النص القرآني

يقف السيد السيستاني عند لفظة (بلغ) بصيغة الأمر المشدّد، الذي جاء يفيد الوجوب، وعند جملة الشرط والتهديد {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} وهذه الجملة تُعدّ أخطر تعبير في القرآن؛ لأنها تنفي تبليغ الرسالة كلها إذا تُرك هذا الأمر، فيقرر أن التهديد بذلك لا يمكن أن يتعلق بفضيلة أو مستحب، وإنما بأصل من أصول الدين، ليصل إلى جملة التعليل {والله يعصمك من الناس} فيعدها قرينة على أن الأمر يتعلق بالقيادة والسلطة من بعد الرسول^(٥).

ويأتي السيد السيستاني على بيان دلالة فعل (أكملت) فيثبت أن الكمال يكون بآخر جزء الشيء، فالتعبير بالإكمال لا يكون إلا بتمام آخر جزء، فالدين تشريعاً اكتملت أحكامه، لكنه عقدياً بقي ناقصاً بلا حافظ للشريعة، فإكمال الدين = إكمال أصليين هما: النبوة والإمامة^(٦).

كما تم التحليل للفظ (نعمتي) بالمفرد المضاف تدل على نعمة واحدة رئيسة هي الولاية؛ لأن بدونها تبقى النعم عرضة للضياع، ورضا الله معلق على الإكمال والإتمام بالغدير، (رضيتُ لكم الإسلام ديناً)، فمن أنكر الغدير فقد أنكر سبب رضا الله عن الإسلام أن يكون دين البشرية إلى يوم القيامة.

ثالثاً: الربط المنطقي بين الآيات

كما يربط المؤلف بين آية التبليغ وآية الإكمال بعلاقة السبب والنتيجة، فآية ﴿بلغ﴾ هي الأمر بالتبليغ، وآية ﴿اليوم أكملت﴾ هي الإعلان عن حصول الإكمال بعد التبليغ^(٧).

فيميز منهج السيد محمد باقر السيستاني عن غيره من تناول تفسير هاتين الآيتين، بالاعتماد على التواتر التاريخي والانتقال من التفسير اللفظي إلى استطاق القرآن الكريم، فيجعله يفسّر بعضه بعضاً، ويجعل التاريخ المتواتر قرينة تفسيرية على المراد الإلهي، فتكون العلاقة بين الآيتين سببية.

آية التبليغ = أمر

واقعة الغدير = تطبيق الأمر وتنفيذه

آية الإكمال = إعلان لنتيجة الأمر

فعندئذ تشكّلان آيتا: (التبليغ والإكمال) قوساً دلاليّاً مغلقاً، فأية التبليغ الأمر، وآية الإكمال الإعلان، والغدير الحدث التطبيقي بينهما، والقرآن الكريم يُبيّن الأمر من تبليغ الرسالة إلى حفظ الرسالة، ويُفرّق بين مرحلة التبليغ وهي مسؤولية النبي ﷺ، ومرحلة الحفظ وهي ضمان استمرار الدين بعده، وكان الغدير هو الجسر الرابط بينهما^(٨).

رابعاً: الإفادة من القرائن في تعيين المراد

أفاد السيد السيستاني من تعدد القرائن ونوعيتها لتوضيح الدلالة المقصودة من النص القرآني، وهي قرائن المكان والزمان والظرف، فالمكان: غدير خم مفترق طرق حجاج العراق والشام ومصر، والزمان: بعد حجة الوداع وقبل افتراق الأمة، والظرف: حر الظهيرة الشديد وبناء منبر من أحداج الإبل؛ لذا كلها تؤدي إلى استنتاج دلالي واحد يخلص إلى أن {ما أنزل إليك من ربك} هو إعلان ولاية أمير المؤمنين ﷺ، ولا يوجد حدث آخر بعد الحج يستحق هذا التهديد إلا تنصيب الإمام^(٩).

فالتفسير الرصين يحتاج القرائن التاريخية المتواترة، وبالتوظيف القرآني يتم استنتاج الآيات لتتضح النتيجة القطعية الثابتة بالروايات المتواترة من مصادر الفريقين بأن نزول آية التبليغ في غدير خم، وآية الإكمال بعده، كما تتضح قطعية دلالة التهديد ودلالة النعمة المفردة مع ضم القرائن الزمانية والمكانية والظرفية، لتقطع بأن المراد إعلان الإمامة.

٥. ظ: المصدر نفسه ٩٨-٩٩.

٦. ظ: المصدر نفسه: ١١٠.

٧. ظ: المصدر نفسه: ١٠٣.

٨. ظ: المصدر نفسه: ١٢١-١٢٣.

٩. ظ: المصدر نفسه: ٩٠-١٠٣.

١. السيستاني، محمد باقر، واقعة

الغدير: ثبوتها ودلالاتها: ١٧.

٢. ظ: المصدر نفسه: ٨٥-٩٠.

٣. ظ: السيستاني، محمد باقر، واقعة

الغدير: ثبوتها ودلالاتها وظ:

الطبراني، المعجم الكبير: ١٨٣/٥.

٤. ظ: الحاكم النسابوري، المستدرک

على الصحيحين: ٥٦٨/١.

الشاكرون لنعمة الولاية دراسة ترابطية في ضوء النص القرآني

من اتبع تعاليم الدين ووصية الرسول الكريم ﷺ هم من ثبتوا على بيعة يوم الغدير، ولم ينكثوها ولم يميلوا من حق إلى باطل، ولم يبدلوا كلام الله، وهم الشاكرون لأنعم الله تعالى عليهم، باتباعهم للإمام علي عليه السلام؛ ويتضح ذلك من طريق الترابط النصي الموجود بين آيات الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

● سبب نزول الآية:

هذه الآية مدنية، وسبب نزولها، كما ورد عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، إنها نزلت في معركة أحد لما أُرْجِفَ بأن النبي ﷺ قُتِلَ يوم أحد، وأشيع ذلك قال أناس لو كان نبيًا لما قُتِلَ، وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به، وارتد بعضهم، وانهزم بعضهم، وكان سبب انهزامهم وتضعفهم إخلال الرماة لمكانهم من الشعب، وكان رسول الله ﷺ نهاهم عن الإخلال به، وحذرهم من الانصراف عنه مخافة الكائن، فلما انهزم المشركون في الجولة الأولى من المعركة وقع المسلمون في الغنائم، قال الرماة الموكلون بحفظ ظهور المسلمين من الكائن: يغنمون ولا نغنم؟ فقال رئيسهم: الله الله لا تفعلوا، فأن النبي ﷺ أمرنا أن لا نبرح، فلم يرضوا قوله وانصرفوا، فثبت منهم قليل مع رئيسهم فقتلوا، عندما خرج عليهم خالد بن الوليد في مائتي فارس من





الشعب، وكان كامناً فيه، وكان سبب هزيمة المسلمين، وإصابة رباعية النبي ﷺ وجرحه، وقيل للمشركين: قُتِلَ محمد وشاع ذلك، وتزعزع المسلمون فنزلت الآية المباركة، وهذا السبب متفق عليه عند العامة والخاصة^(١)، فكان سبب الردة عن الإسلام شياع مقتل النبي ﷺ، حتى أن بعض المسلمين طلبوا أن يكون من يشفع لهم عند المشركين ليرجعوا للكفر، ومنهم من تمنى أنه لو لم يُسَلِّمْ^(٢)، ((ومعنى الآية وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه، لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجودهم بين أظهر قومهم أبدا))^(٣).

● تأملات في بعض مفردات الآية المباركة:

لقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الردة بالانقلاب على الأعقاب، وهو تعبير بلاغي جميل، فلم يقل ارتدوا، بل قال: (انقلبتم على أعقابكم)، وفيها (الانقلاب والعقب).

الانقلاب: وهو العودة مع تغير الحال^(٤)، بخلاف الرجوع وهو مع بقاء الحال، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وهو العودة مع تغير الحال للفضل، وفي قوله تعالى: ﴿فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩]، وهو العودة مع تغير الحال للأسوأ، وهذا الانقلاب هو الذي ورد في الآية المباركة، فهم يرجعون مع تغير حالهم من الأفضل (الإسلام) للأسوأ (الكفر)، الأعقاب: مؤخرة الشيء، ورجع على عقبه إذا انشأ راجعاً^(٥).

ما تقدم يتضح أن الانقلاب على الأعقاب أسلوب بلاغي مميز، إذ يبين أنهم رجعوا مع تغير حالهم من الإسلام للكفر ((لأنهم هربوا حيث سمعوا يقتله، فقال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ كَسَاءتِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ أَي رَجَعْتُمْ إِلَى دِينِكُمُ الشَّرْكَ. وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ أَي يَرْجِعْ إِلَى الشَّرْكَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ))^(٦)، ومن ينقلب فليس ضرر هذا الانقلاب إلا على الشخص نفسه، ولا ينقص من جلال الله شيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ

يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ [آل عمران : ١٧٧].

ومن بديع التعبير القرآني في هذه الآية المباركة أن جعل الله قبال الكفر والردة وهي من أسوأ الأفعال قابلها بالشكر، فمقابل الكفر هو الإيمان ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا كَفَرُوا بِالْإِيمَانِ﴾، وغيرها من الآيات الكثيرة إلا أن الآية المباركة هنا جعلت الانقلاب على الأعقاب والكفر قبالة الشكر، ونحن نعلم أن كل شيء في القرآن مقصود، وهو المراد ومدار المعنى فتكون هذه المقابلة لها معناها المقصود ولعل من أسبابها :

١. ذكر الله الشكر (الشاكرين) لأن فيه زيادة في التوبيخ لمن انقلب على عقبه، فلا يكون الشكر إلا على النعم التي أنعمها الله للناس بتفضله ورحمته، فهل يقابل التفضل والرحمة بالكفر والردة، وأي نعمة كنعمة الإسلام، فيكون من قبيل زيادة في التوبيخ لهم.

الشكر هو الاعتراف بالنعمة والمنعم، فالشكر مقدمة للإيمان قال تعالى ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء : ١٤٧]، ((قدمت هذه الآية مسألة الشكر على الإيمان لأجل بيان هذه الحقيقة، وهي أن الإنسان ما لم يدرك نعم الله وهباته العظيمة ويشكره على هذه النعم فلن يستطيع التوصل إلى معرفة الله والإيمان به، لأن أنعمه سبحانه وتعالى إنما هي وسائل لمعرفة))^(٧)، فيكون جزاء الله على مقدمة الإيمان فكيف بالإيمان نفسه.

٢. فيها إشارة إلى أن من يلتزم الدين ويثبت عليه هم القلة فقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣]، فليس كل عباد الله يشكرون النعم، بل هم القلة القليلة الذين يداومون على الشكر.

٣. فيها صيغة (الفاعل) (الشاكر) وهي تدل على الثبات والدوام، أي: ثباتهم على الشكر والمداومة عليه، فلا يتزعزعون عنه، كما حصل للمقلبين على الأعقاب.

وفي الآية إشارة إلى حال المسلمين بعد رحيل الرسول الأعظم محمد ﷺ، وكيف تتغير مواقف الكثير من المسلمين، بل يرتدون عن دينهم، ووصية نبيهم، وأن القلة القليلة ممن وفي بشكر النعمة والدوام على الشكر بالتزام تعاليم الدين الحنيف ووصية النبي الكريم ﷺ.

الآية الثالثة من سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣].

● سبب نزول الآية:

ورد أنها نزلت يوم الغدير، وهو المروي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ((أن الآية نزلت بعد أن نصّب النبي ﷺ عليًا عليهما السلام للأمة يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع))^(١٨)، وروي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: ((الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، واللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله))^(٩).

وقد ورد عن ابن عباس والسدي: أكملت لكم فرائضي وحدودي وأمرني ونهيي وحلالي وحرامي بتنزيل الرسالة كاملة على النبي ﷺ، الذي بلغها وبينها لكم، فلا زيادة في ذلك، ولا نقصان بالنسخ بعد هذا اليوم، وهو اختيار الجبائي والبلخي^(١٠)، وعن الحكم وسعيد بن جبير وقتادة: أكملت لكم حجكم وأفردتكم بالبلد الحرام تحجون دون المشركين، ولا يخالطكم مشرك^(١١)، وعن الزجاج: كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم^(١٢).

● تأملات في بعض مفردات الآية المباركة:

ومن الجدير بالإشارة أن الآية المباركة قالت (أكملت)، والكمال هو حصول الغرض من الشيء، وهو غاية ما يحصل به الصلاح^(١٣)، أي: أن اليوم وصل هذا الدين بتعاليمه إلى أعلى مراتب الصلاح والتمام، فلا يوجد أعلى من هذا شيء أبدًا، وأضاف عز وجل هذا الكمال لنفسه (أكملت) ولم يقل (كمل دينكم) وفي هذه الإضافة التشريف والتعظيم والرفعة.

وكذلك وردت لفظت (دينكم) والدين الإلهي هو ((وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما عند الرسول ﷺ))^(١٤)، وقد أضاف الدين للبشر بضمير المخاطب، وفي هذا بيان المنّة والفضل الإلهي على البشر، ولأن الاستفادة منه هو البشر، ولا يعود ينفع على الله قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].



ثم عبّرت الآية (وَأَتَمَمْتُ) والتّمام: انتهاء الشيء إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه^(١٥)، وبتعبير آخر وصول القمة أو الذروة، فما دونه نقصان وما فوقها نقصان كذلك، وهي وفاء الوعد الذي قطعه سبحانه على نفسه لنبيه ﷺ حينما قال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَمَنَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، ففي هذه الآية يشير سبحانه لهذا الوعد، وكذلك أضاف عز وجل هذا التّمام لنفسه تشريفاً وتعظيماً ورفعاً، وهي تأكيد لما سبق من كمال، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى أن التّمام هذا للنعمة وفيها عدة أمور منها:

١. عبّر بالكمال للدين، في حين عبّر بالتّمام للنعمة، فما الداعي للتّغيير بالتعبير، فقد ذكر النعمة، لأن كمال الدين هو مقدمة لتّمام النعمة وكمالها، فحين تصل رسالة السّماء إلى كمالها فهي أفضل النعم وتّمام النعم.

٢. إن النعمة لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وهي تفضّل من المنعم، وهي منّة من المنعم (١٦)، فتكون الرسالة فضل ومنّة من الله تعالى على عباده، وكمالها هو تمام المنّة والفضل، فلا بد من رعايتها حق الرعاية، وشكرها حق الشكر.

٣. إضافة النعمة للذات المقدسة (نعمتي) فيه شيء من التعظيم والتقديس، ولم يصفها لخلقه كما فعل في (دينكم)، وفيها مقابل التقديس شيء من العتاب لمن خالف الدين، إذ تشير الآية إلى أن الله اعطانا الدين منّة منه من دون استحقاق منا، لذلك فكيف تخالفونه وهو في مصلحتكم.

(ورضيت) أي: أن في هذا الدين الحنيف والإسلام القويم رضا الله تعالى، فما دون ذلك ليس فيه رضا الله، وهو القائل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، كما إن الله أشار إلى رضاه سبحانه وهو القائل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، فرضوان الله أكبر من كل شيء حتى من الجنان نفسها كما تشير الآية المباركة.

وكل ما تقدم من كمال الدين وتمام النعمة ورضا الله بالدين الحنيف هو بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما هو واضح من سبب نزول الآية المباركة، فهي نزلت في يوم الغدير، وتبليغ النبي صلى الله عليه وآله بمبايعة المسلمين للإمام علي عليه السلام في غدير خم .

● الشيعة والتزامهم بالشكر :

لا بد من المرور في عجلة على معنى الشكر في اللغة والاصطلاح، فالشكر في اللغة: من الأصل (شَكَرَ) ^(١٧)، وقيل مقلوب عن (كَشَرَ) أي الكشف، ويضاده الكفر، وهو: نسيان النعمة وسترها ^(١٨)، فالشكر: عرفان الإحسان ونشره وحمد موليّه ^(١٩)، أو تصوّر النعمة وإظهارها ^(٢٠)، أو الثناء على المنعم بمعروف يُؤليكه ^(٢١)، وفي الاصطلاح: ((معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه)) ^(٢٢)، فهو ((ما نبيهه تجاه نعمة تغدق علينا من منعم عن إختيار... يؤدي بالقول أحياناً وبالعمل أخرى)) ^(٢٣)، وبصورته العملية ((هو إنفاق النعم في مواضعها والاستفادة من الآثار العملية)) ^(٢٤)، فهو شكر النعمة بالاعتراف بالمنعم والنعمة وصرفها على وجهها الحق الذي تصرف فيه، إذ هو عرفان للنعمة وعدم كفرانها، فلا يكفي الشكر اللساني، فلا بد من تمثله على تصرفات الإنسان وتهذيبها، وهو الهدف من تعاليم الشريعة بشكل عام، والشكر بشكل خاص، ويكون ذلك سبباً في دوام النعمة وزيادتها.

● الشكر مقدمة للإيمان :

من البديهي، ومن دون أدنى شك، أن يكون المؤمن شكوراً لله على نعمته، وهذا الشكر هو من قاده للإيمان في بادئ الأمر، من ثم أصبح الشكر من مرسخات الإيمان، وهو ما صرح به القرآن الكريم ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ [النساء : ١٤٧]، وقد قدمت الآية المباركة للشكر على الإيمان؛ لأن الإنسان العاقل ينظر لما يتمتع به من النعم العظيمة، فيشكر منعم هذه النعمة، مما يستدعي البحث والتفكير في المنعم، فينتهي به المطاف إلى معرفة المنعم والإيمان به وداوم الشكر، فيكون الشكر سابقاً للإيمان ومن مقدماته ^(٢٥)، فالإنسان ما لم يدرك نعم الله وهباته العظيمة ويشكره على هذه النعم فلن يستطيع



التوصل إلى معرفة الله والإيمان به، لأن أنعمه سبحانه وتعالى إنما هي وسائل لمعرفته^(٢٦)، خصوصاً عندما نعلم أن الشكر مراتب في القلب وفي اللسان وفي الجوارح، وهي مراتب الإيمان نفسها، فإن لم يكن الشكر مقدمة للإيمان فهو الإيمان نفسه، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((أَدْنَى الشُّكْرِ رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ مِنْ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ بِهَا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالرِّضَا بِهَا أُعْطِيَ، وَالْأَيْعِصِيَّةُ بِنِعْمَتِهِ أَوْ يُخَالِفُهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ))^(٢٧).

مراتب أو مراحل الشكر: قسّم العلماء الشكر على ثلاث مراتب أو مراحل^(٢٨) هي:

١. شكر القلب: وهو تصور النعمة، والتفكير بالمنعم، فيجب أن نعلم من هو الواهب لهذه النعمة، فكثير من آيات القرآن الكريم دعت للتفكير والتدبر والتعقل، وهو الشكر القلبي، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].
٢. شكر اللسان: فبعد أن يتفكر في المنعم والنعمة، وأقر القلب بالشكر لهذا المنعم، يجب الشكر لهذا المنعم باللسان، وهي المرتبة أو المرحلة الثانية من الشكر، وتكون الأولى مقدمة لها، فلا شكر باللسان من دون الشكر بالقلب.

الشكر العملي: فبعد أن أقر القلب بالنعمة والمنعم، وشكر اللسان، لا بد من ظهور آثار هذا الشكر على الأفعال، وهو الأهم بينها، وقسمه بعض العلماء على تكويني وتشريعي^(٢٩)، وهو الذي ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما أنعم عليكم من النعم، التي خصكم بها عن سائر خلقه، مع الشكر له على سائر نعمه، التي عمّمكم بها مع سائر خلقه، وهو عن مجاهد، وفي هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وأن الشكر طاعة المنعم وتعظيمه^(٣٠)، والشكور كثير الشكر، الذي كثر وتردد شكره، بينما الشاكر من وقع منه الشكر، والمروي عن ابن عباس المراد به المؤمن الموحد، وهم قليلون في كل زمان^(٣١)، ونظيره في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥]، فالصلاة التي يستحق بها العبد عند الله الثواب، وتجنب العقاب، التي تكون رادعة عن الذنب وموجبة للتوبة^(٣٢)، وهو شكر النعم حيث يتمثل على أفعال العبد، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا))^(٣٣)، فيكون شكر نعمة الصلاة الابتعاد عن الفحشاء والمنكر، وليس الصلاة فقط بل سائر تعاليم ديننا الحنيف هي في شكرها الابتعاد عن الفحشاء والمنكر.

والشكر كما أنه عرفان للمنع على نعمته، يكون هو سببا في دوام النعم وزيادتها، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: ((إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْكُمْ أَطْرَافَ النِّعَمِ فَلَا تُنْفِرُوا أَفْصَاهَا بِقَلَّةِ الشُّكْرِ))^(٣٤)، فعند دوام الشكر تدوم النعم وتكثر على العبد.

● الشيعة هم الشاكرون:

وعلى وفق ما تقدم فالنعمة لا بد من شكر لمنعمها بمراحل الشكر الثلاث، سواء القلبي واللفظي والعملي، وكلما كانت النعمة أكبر كان الشكر مساويا لها، فكيف بالنعمة إذا كانت هي تمام النعم وكمال النعم، فيكون عليها تمام الشكر وكمال الشكر، ويكون ذلك باتباع تعاليم المنعم وعدم مخالفتها، وإذا علمنا أن كمال الدين وتمامه بنعمة الإمامة، فلا بد من الناس أن تشكر هذه النعمة التي بها تمام الدين وكمالها، ولا يكون ذلك إلا باتباع الإمام وعدم مخالفته، فيكون شكر إتمام نعمة الله لنا بتنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام البيعة له، وعدم مخالفته والتزام أمر السماء، ولا نكون ممن قال عنهم القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران : ١٤٤]، فبعد رحيل النبي الأعظم محمد ﷺ إلى جوار ربه انقسمت الأمة على قسمين:

القسم الأول: هم غير الشاكرين، وهم من لم يلتزموا بتعاليم السماء ووصية خاتم الأنبياء ﷺ، ونكثوا البيعة للإمام علي عليه السلام.



القسم الثاني: هم الشاكرون، وهم من التزموا بتعاليم السماء وتبليغ خاتم الأنبياء ﷺ وثبتوا على بيعتهم للإمام علي عليه السلام وهم أهل الإيمان الراسخ.

فالقرآن الكريم وصف القسم الأول بالانقلاب على الأعقاب، أمّا القسم الثاني فهم أهل الإيمان ووصفهم بالشاكرين، وهم القلة القليلة وهذه القلة لا تضر، لأن القرآن الكريم ذم الكثرة بقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، أي: يعرفون نعمة الله بتقبلهم فيها، وينكرونها بترك الشكر عليها، أو يعرفونها بأقوالهم وينكرونها بأفعالهم، أو يعرفونها بقلوبهم ويحدونها بالسنتهم^(٣٥) وهو قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، ومدح القلة بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، فقليل من العباد من يكون شكوراً لله على نعمه.

وهذا الشكر يكون مقدمة للإيمان أو الإيمان نفسه، لهذا قال رسول الله ﷺ: للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((يا علي لولاك لم يعرف المؤمنون بعدي))^(٣٦)، فتكون ولايتهم عليه هي مقدمة للإيمان بالله عز وجل، أو هي الإيمان نفسه؛ لأن من آمن بهم عليه السلام فهو آمن بالنبي ﷺ ومن آمن بالنبي ﷺ آمن بالله عز وجل، ولا يمكن أن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض قال تعالى: ﴿أَفْتُمْنُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

فضلا عن أن هذا الشكر على هذه النعمة يجلب النعم الأخرى، لذا ورد عن سلمان المحمدي (رضوان الله عليه) قوله بعد رحيل النبي الأعظم محمد ﷺ: ((أما والذي نفس سلمان بيده لو وليتموه علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم))^(٣٧)، ولا عجب فهو مصداق لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، فإقامتها باتباع تعاليم هذا الدين الحنيف وكمال تعاليمه وتاممها هي نعمة الإمامة.



١. ظ: الطبري، جامع البيان: ٧/ ٢٥١؛ الطوسي، التبيان: ٣/ ٤؛ الزمخشري، الكشف: ١/ ١٩٢؛ الطبرسي، مجمع البيان: ٢/ ٣٢٤.
٢. ظ: الزمخشري، الكشف: ١/ ١٩٢؛ الطبرسي، مجمع البيان: ٢/ ٣٢٥.
٣. الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ٩/ ٣٧٦.
٤. ظ: ابن فارس، مقاييس اللغة: ٨٢٨؛ الراغب الاصفهاني، المفردات: ٥٣٩.
٥. ظ: الراغب الاصفهاني، المفردات: ٤٤٨.
٦. السمرقندي، بحر العلوم: ١/ ٢٥٤.
٧. الشيرازي، الأمثل: ٣/ ٣٠٤.
٨. الطوسي، التبيان: ٣/ ٤٣٤.
٩. الطبرسي، مجمع البيان: ٣/ ٢٢٧.
١٠. ظ: الزمخشري، الكشف: ١/ ٢٧٧؛ الطبرسي، مجمع البيان: ٣/ ٢٢٦؛ القرطبي، جامع الأحكام: ٦/ ٢٧.
١١. ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٣/ ٢٢٧؛ القرطبي، جامع الأحكام: ٦/ ٢٧.
١٢. ظ: الزمخشري، الكشف: ١/ ٢٧٧؛ الطبرسي، مجمع البيان: ٣/ ٢٢٧؛ القرطبي، جامع الأحكام: ٦/ ٢٧.
١٣. ظ: الراغب الاصفهاني، المفردات: ٥٧٨.
١٤. الجرجاني، التعريفات: ١٠٩.
١٥. ظ: الراغب الاصفهاني، المفردات: ١٠٦.
١٦. ظ: ابن فارس، مقاييس اللغة: ٩٩٧.
١٧. ظ: الخليل، العين: ٥/ ٢٩٢؛ ابن فارس، مقاييس اللغة: ٥١٢.
١٨. ظ: الراغب الاصفهاني، المفردات: ٣٥٢.
١٩. ظ: الخليل، العين: ٥/ ٢٩٢.
٢٠. ظ: الراغب الاصفهاني، المفردات: ٣٥٢.
٢١. ظ: ابن فارس، مقاييس اللغة: ٥١٢.
٢٢. الجرجاني، التعريفات: ١٣١.
٢٣. الشيرازي، الأمثل: ١/ ٢٩.
٢٤. الشيرازي، الأمثل: ١/ ٣٣٧.
٢٥. ظ: الزمخشري، الكشف: ١/ ٢٦٧.
٢٦. ظ: الشيرازي، الأمثل: ٣/ ٣٠٤.
٢٧. الريشهري، ميزان الحكمة: ٥/ ١٩٧٥.
٢٨. ظ: الراغب الاصفهاني، المفردات: ٣٥٢.
٢٩. ظ: الشيرازي، الأمثل: ٧/ ٢٩٦.
٣٠. ظ: الطبري، جامع البيان: ٢٠/ ٣٦٨؛ الطبرسي، مجمع البيان: ٨/ ١٥٤.
٣١. ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٨/ ١٥٥.
٣٢. ظ: الزمخشري، الكشف: ٢/ ٩٠٤.
٣٣. الريشهري، ميزان الحكمة: ٥/ ٢١٥١.
٣٤. جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٥٦٤.
٣٥. ظ: القرطبي، جامع الاحكام: ١٠/ ١٠٧.
٣٦. الشيخ المفيد، الأمالي: ٢١٣.
٣٧. الماحوزي، الأربعون حديثاً: ٣٤٢.





خصائص حديث الغدير في التراث الإسلامي

وأثره في بناء نظرية الولاية
دراسة تحليلية موثقة

يُعتبر الحديث النبوي الشريف أحد الركائز الأساسية في منظومة المعرفة الدينية في الإسلام، إذ يمثل البيان العملي والتفسيري للقرآن الكريم، ويؤدي دوراً محورياً في ترسيخ العقائد وبناء الأحكام الشرعية، وتنظيم الحياة الدينية والاجتماعية للأمة، ومن بين الأحاديث النبوية التي حظيت بعناية واسعة في التراث الإسلامي عامة، وفي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) خاصة، يبرز حديث الغدير بوصفه نصاً تأسيسياً مفصلياً، لما اُتسم به من خصائص وامتيازات تميّزه عن غيره من الأحاديث المتواترة.

أ.م.د. علي نيكوكار
أستاذ في جامعة المصطفى
العالمية

وانطلاقاً من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الخصائص العلمية والامتيازات الموضوعية التي يتميز بها حديث الغدير مقارنة بسائر الأحاديث المتواترة، وذلك عبر قراءة تحليلية توثيقية تعتمد المصادر الحديثية والتأريخية عند الفريقين، وتلتزم منهجاً يعتمد أسساً موضوعية في التحليل والمقارنة والاستنتاج.

ومن مطالعنا لحديث الغدير المتواتر وإلى الحدث التأريخي المهم الذي نطق به، لفت انتباهنا إلى

لقد ورد حديث الغدير في مصادر الشيعة الإمامية وأهل السنة على السواء، ونُقل عبر طرق متعددة، واقتُرِنَ بظرف تاريخي بالغ الأهمية، كما ارتبط بنصوص قرآنية شكّلت له إطاراً دلالياً خاصاً، الأمر الذي جعله حاضراً بقوة في مباحث العقيدة والكلام والجدل الإسلامي، ولم يكن هذا الحضور مجرد تداولٍ روائي، بل تحوّل إلى محور للنقاش العلمي حول مفاهيم الولاية والإمامة، والقيادة الدينية بعد النبي الأكرم ﷺ.





ضرورة تدوين بحث مقارنة مع بقية الأحاديث المتواترة عن النبي الأكرم ﷺ، مع تسليط الضوء على خصائص هذه الحادثة، بحسب الآتي:

الخِصَصَةُ الأولى: سياق صدور الحديث وظروفه التاريخية

أولاً: متن الحديث وتوثيقه

نقلت المصادر الحديثية عند الشيعة الإمامية وأهل السنة نصّ حديث الغدير بالفاظٍ متقاربة ومعنى واحد، نكتفي بما رواه أحمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١هـ) بسنده عن البراء بن عازب، قال: ((كُنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلى الظهر، وأخذ بيد عليّ (رضي الله تعالى عنه) فقال: أَلَسْتُمْ تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى، قال: أَلَسْتُمْ تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد عليّ، فقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة^(١)، يُعدّ هذا النصّ أنموذجاً من عشرات الروايات المتضافرة، التي نقلت مضمون الواقعة وألفاظها الأساسية.

ثانياً: خصائص تواتر حديث الغدير

يعتبر التواتر من أهمّ معايير الاعتبار في الحديث النبوي، إذ يفيد العلم القطعي بصدور النص عن المعصوم، وقد حظي التراث الإسلامي بعدد من الأحاديث المتواترة، وعلى رأسها حديث الغدير؛ إذ يحتلّ حديث الغدير موقعاً فريداً لا نظير له من بين هذه الأحاديث، ليس من حيث التواتر فحسب، بل من حيث السياق، والمضمون، والدلالة، والآثار العقديّة والتشريعيّة، فقد نُقل الحديث عن جمع كبير من الصحابة، قدره بعض المؤرخين الحاضرين في حجة الوداع بأكثر من مائة وعشرين ألفاً من الصحابة، ثم تلقاه عنهم مئات التابعين، ونقله عنهم آلاف العلماء والمحدثين عبر العصور الإسلامية المختلفة، ممّا أكسبه حضوراً علمياً واسعاً في المدونات الحديثية والتاريخية.



توقيت مقصود ذو دلالة تأسيسية.

٢- المكان: غدير خُم عند الجحفة، وهو مفترق طرق تتفرّق عنده وفود المسلمين، وقد أمر النبي الأكرم ﷺ بإيقاف القوافل، وجمع الناس، وصعد المنبر، وهو ما يدلّ على أن الخطاب إعلانيّ تأسيسيّ، لا بياناً جزئياً أو جواباً عارضاً.

٣- الحضور: أعلن في مشهدٍ عامٍّ أمام جمهور غفير من المسلمين من مختلف القبائل والمناطق، مما يجعل الخطاب موجّهاً للأمة جمعاء، لا لفئة خاصّة.

وهذه الخصوصية لا تكاد تتكرّر في سائر الأحاديث المتواترة، التي غالباً ما صدرت في ظروف جزئية أو لجماعات خاصّة أو في مجالس محدودة.

الخطاب في هذه الواقعة لم يكن خطاباً خاصاً أو جواباً لسؤال، بل إعلاناً رسميّاً موجّهً للأمة جمعاء، وهذا ما لا يتوافر في أكثر الأحاديث المتواترة، التي غالباً ما تصدر في سياقات جزئية أو مناسبات محدودة.

وقد امتاز تواتر حديث الغدير بجملة من الخصائص المنهجية والعلمية، من أبرزها:

١- كونه تواتراً طبقيّاً مستمراً، شمل جميع الطبقات والرواة عبر الأجيال من دون انقطاع.

٢- تحقّق التواتر فيه على المستويين اللفظي والمعنوي في آنٍ واحد، وهو ما يعزّز قوّة دلّالته وثبوت مضمونه.

٣- اقترانه بنزول آيات من القرآن الكريم.

٤- اقترانه بقرائن تاريخية ووقائع عملية متعدّدة، أسهمت في تعزيز درجة اليقين بصدوره ومضمونه.

ويعتبر هذا الامتياز المركّب من الخصائص النادرة التي لا تكاد تتوافر مجتمعةً في غيره من الأحاديث المتواترة.

ثالثاً: صدوره في مجمعٍ عامٍّ جامع

صدّر حديث الغدير في ظرفٍ استثنائي من حيث الزمان والمكان والحضور:

١ - الزمان: بعد أداء النبي الأكرم ﷺ مناسك حجّة الوداع، في أواخر حياته الشريفة، وهو

الحَصِيصَةُ الثَّانِيَّةُ: الإِعلانُ العلنيُّ بالولاية

تميزت واقعة الغدير بالإعلان الصريح والعلني عن الولاية من على المنبر، إذ أعلن النبي الأكرم ﷺ وصرّح بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأكدّها بالفعل عندما رفع يده أمام الجمع الغفير، في مشهدٍ يجمع بين التأكيد السمعي والبصري، إذ لم يكتفِ النبي الأكرم ﷺ بإلقاء خطاب شفهي عابر، بل أعلن صراحة وبالإسم على الولي المنصوب من بعده، إذ قال: ((من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه))، ثم الإعلان من على المنبر أمام جمع غفير من المسلمين، وكان على المنبر بجانبه علي بن أبي طالب عليه السلام الأمر الذي يمنح الحدث صفة الجهر والعلانية أمام الجمهور، بخلاف كثير من الأحاديث المتواترة التي قد تقتصر على مجالس محدودة.

ثم لم يكتفِ النبي الأكرم ﷺ بهذا الإعلان الصريح، بل قام ورفع يد عليّ عليه السلام أمام الملاء، وهو فعل رمزي مقصود يجمع بين البيان الخطابي والتأكيد العملي، ويؤدي وظيفة إبلاغية دلالية واضحة، ويجعل الموقف مشهوداً لكل الحاضرين وهما على المنبر، بحيث لا يترك مجالاً للشك أو الالتباس حول المعنى المقصود، وقد شكّل هذا الفعل:

أولاً: التأكيد البصري والسمعي معاً: إنّ الجمع بين الخطاب اللفظي ورفع اليد يحقق تأكيداً مزدوجاً، في إشهار الرسمية لعقيدة الولاية، مما يعزز حجية الحديث، ويجعله قابلاً للاحتجاج العلمي في النقل والاعتبار.

ثانياً: الإشهار أمام الأمة: الإعلان على المنبر أمام الجميع يوضح أنّ الولاية ليست أمراً جزئياً أو سرياً، بل أصل عقدي معلن لكل المسلمين، ويجعل الحدث مؤسساً للوعي الجماعي بالعقيدة.

ثالثاً: الرمزية في الفعل: رفع اليد أمام الملاء هو فعل إبلاغي عملي، يؤكد المقام الخاص لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويحوّل النص من مجرد كلام إلى حدث تاريخي مشهود.

وقد أكّد سبط ابن الجوزيّ الحنفيّ (٥٨١ - ٦٥٤ هـ) وضوح هذا الإعلان بقوله: ((اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، جمّع الصحابة



وكانوا مائة وعشرين ألفاً، وقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ الحديث، نصَّ ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة^(٣). وهو شاهد على الحادثة، مشيراً إلى وضوح الإعلان وشهوده على العامة والخاصة.

الخصيصة الثالثة: المضمون والدلالة العقدية

أولاً: اقترانه بالنص القرآني

١ - اختصَّ حديث الغدير بأنه مسبق بنزول آية التبليغ، وهي آية قرآنية أمرية شديدة الإلهجة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، تفيد الآية أن المأمور بتبليغه يمثل عنصراً جوهرياً في بنية الرسالة، بحيث إن تركه يساوق الإخلال بوظيفتها التبليغية، إذ جعلت الآية تبليغ مضمون الغدير مساوياً لتبليغ الرسالة كلها، ولا يُعرف حديث متواتر آخر ارتبط بأية تجعل تبليغه مساوياً لأداء الرسالة كلها.

٢ - اختصَّ حديث الغدير بأنه مقرون بنزول آية إكمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ [المائدة: ٣]، نزلت هذه الآية بعد خطبة النبي الأكرم ﷺ وإعلان تبليغ ولاية علي عليه السلام وتنصيبه خليفة للمسلمين من بعده، هذا الربط الزمني والدلالي يدل على أن الولاية ليست أمراً ثانوياً، بل عنصر إكمال الدين وإتمام النعمة، إذ ربطت الآية كمال الدين وتمام النعمة بإعلان الولاية، ولا يُعرف حديث متواتر آخر أحيط بنصين قرآنيين، يحددان أهميته ومركزيته بهذه الصراحة، وهذه الخصيصة لا تتوافر في حديث غير حديث الغدير.

٣ - نزول آية ثالثة ينقل ابن شهر آشوب (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ) أنه لما بلغ رسول الله ﷺ بغدير خم ما بلغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي، فقال: يا محمد أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا، وقلت: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ»، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي لا إله إلا هو أن هذا من الله»، فولى الحارث يريد

راحلته وهو يقول: «اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم»، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣)، رُوي في سبب نزول هذه الآية أنها تأكيدٌ لكون الولاية أمراً إلهياً لا اجتهداً شخصياً، ولا يُعرف حديث متواتر آخر أحيط بهذا العدد من النصوص القرآنية الدالة على مركزيته.

ثانياً: دلالة على أصل عقدي

أغلب الأحاديث المتواترة تدور حول: ذكر فضائل أخلاقية، أو توجيهات سلوكية عبادية، أو بيان أحكام شرعية عملية، يعني منصبه على أمور فرعية، أمّا حديث الغدير فدلالته منصبه على أصل الإمامة والولاية، أي: امتداد رسالة النبوة في الهداية، وضمان حفظ الدين بعد الرسول ﷺ، فهو حديث يؤسس نظام القيادة الدينية والسياسية للأمة، لا مجرد فضيلة أو حكم شرعي.

ثالثاً: وضوح الدلالة ومنهجية التقرير

مهّد النبي الأكرم ﷺ للحديث بسؤال إقرارى: «أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، فلما أقرّوا بذلك، رتب عليه الحكم: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ»، فالدلالة جاءت مبنية على مقدمة إقرارية، لا على لفظ محتمل مجرد، وهو أسلوب احتجاجي مقصود، ينقل معنى (المولى) من مجرد المحبة إلى الأولوية في الولاية والقيادة، ويجعل الدلالة دلالة إلزامية لا احتمالية، حيث كان تصريح علني، ثم ختم بالدعاء التأكيدى «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ».





رابعاً: الدلالة المركزية للحديث

بيان إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وولايته بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، إذ ورد بشكل واضح في معنى أن من كان النبي مولاه، فإنّ علياً مولاه، مع دعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ».

الخصيصة الرابعة: الأثر والامتداد التاريخي

أولاً: تحوّله إلى شعيرة دينية وهوية عقديّة

تميّز حديث الغدير عن غيره بأنّه لم يبق نصّاً روائياً فحسب، بل تحوّل إلى عيدٍ إسلامي عظيم (عيد الغدير الأغر)، ورمز وهوية لعقيدة الولاية في الفكر الشيعي، إذ يحتفل به الشيعة عبر القرون، وهو امتياز لا يكاد يوجد لغيره من الأحاديث المتواترة.

ثانياً: استمرارية الاحتجاج به

استمرّ الاحتجاج بحديث الغدير عبر العصور، إذ احتجّ به:

١ - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أكثر من موضع.

٢ - فاطمة الزهراء عليها السلام.

٣ - الأئمة عليهم السلام من ذريّته.

٤ - العلماء والمتكلّمون في المناظرات العقديّة.



مما يُبرز عمقه وتأثيره المستمر ومركزيته في الفكر الإسلامي.

تُظهر هذه الدراسة أنَّ حديث الغدير لا يمثل مجرد حديث متواتر بين غيره من الأحاديث، بل يمثل نصّاً تأسيسياً فريداً في منظومة العقيدة الإسلامية، امتاز بخصائص لا تجتمع في غيره، من حيث أنه: أقوى تواتراً، وأوسع جمهوراً، وأعمق أثراً عقدياً، وأوضح دلالةً تشريعيةً وسياسيةً، واقتراناً مباشراً بالنصّ القرآني، ومن ذلك آية التبليغ وإكمال الدين، وقد منحه بعداً قرآنياً يؤكد أصالة دلالاته وعمق أثره، وبذلك لم يكن حديثاً اعتيادياً في منظومة الروايات، بل يمثل محوراً تأسيسياً في تشكيل نظرية الإمامة والولاية والقيادة في الفكر الإمامي، وعنصراً مركزياً في فهم الامتداد الشرعي والرسالي لرسالة النبي الأكرم ﷺ.

١- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند أحمد: ٤، ص ٢٨١.

٢- ابن الجوزي، يوسف، تذكرة خواص من الأئمة بذكر خصائص الأئمة، ٢٦٦.

٣- ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٢٤٠، والآية الأولى من سورة المعارج.



رأي علماء السنة في



هناك تصريحات كثيرة لعلماء السنة بالنسبة إلى حديث الغدير تؤيد تواتر حديث الغدير، فضلاً عن أنها تؤيد سنده وصحته ودلالته الواضحة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخلافته المباشرة لرسول الله ﷺ.

يقول أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي في حديث الغدير: ((تواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو - أي حديث الغدير - متواتر أيضاً عن النبي ﷺ، رواه الجهم الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطلاع له في هذا العلم، فقد ورد مرفوعاً عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وزيد بن أرقم، وبراء بن عازب، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت))^(١).



حديث الغدير



يقول حجة الإسلام الغزالي: "أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خم باتفاق الجميع وهو يقول: "من كنت مولاه فعلي مولاه،... فقال عمر بن الخطاب يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مولى، فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة..."^(٢).

ولقد صرح بتواتر حديث الغدير آخرون من علماء السنة منهم: شمس الدين الشافعي والقسطلاني والمنصور بالله. وفيما يأتي نذكر عدداً من المصادر التي ذكرت حديث الغدير:

مصادر حديث الغدير

١. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، المتوفى سنة: ٥٤٨ هجرية، في كتابه: الملل والنحل: ١ / ١٦٣، طبعة: دار صعب / بيروت، ومطبعة: أمير، قم / إيران.
٢. أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة: ٧٧٤ هجرية، في تفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٥، طبعة: دار المعرفة / بيروت.
٣. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفى سنة: ٥٧١ هجرية: في كتابه المعروف بتاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٢ / ٥، طبعة: دار الفكر / ومؤسسة المحمودي / بيروت.
٤. أبو الحسن علي بن محمد الواسطي الجلاقي الشافعي، المعروف بابن المغازلي، المتوفى سنة: ٤٨٣ هجرية: في كتابه مناقب علي بن أبي طالب: ٣١، طبعة: دار مكتبة الحياة / بيروت.
٥. أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي الشافعي، المتوفى سنة: ١٢٧٠ هجرية، في كتابه: روح المعاني: ٤ / ٢٨٢، طبعة: دار الفكر / بيروت.
٦. محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٦٧، طبعة: مكتبة القدسي / القاهرة / مصر، وطبعة: بيروت.
٧. الحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي في كتابه: التلخيص بذييل المستدرک: ٣ / ١٠٩، طبعة: دار الفكر / بيروت.
٨. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب



- العباسي المعروف باليعقوبي في كتابه: تاريخ اليعقوبي: ١ / ٤٢٢،
طبعة: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت / لبنان.
٩. القسطلاني، شرح المواهب اللدنية: ٧ / ١٣، طبعة: المطبعة
الأزهرية، القاهرة / مصر.
١٠. علي بن محمد بن أحمد المالكي، المعروف بابن صباغ، المتوفى
سنة: ٨٥٥ هجرية، في كتابه: الفصول المهمة: ٤٠، طبعة:
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت / لبنان.
١١. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، فضائل
الصحابة: ١٥، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.
١٢. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة
٩١١ هجرية: تاريخ الخلفاء: ١٦٩، طبعة: مصر.
١٣. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١
هجرية: الحاوي للفتاوى: ١ / ١٠٦، طبعة: دار الكتاب العربي /
بيروت.
١٤. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث
الهجري، في كتابه: أنساب الأشراف: ٢ / ١١١، طبعة: مؤسسة
الاعلمي للمطبوعات، بيروت / لبنان.
١٥. أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة:
٧٧٤ هجرية ابن كثير، البداية والنهاية: ٥ / ٢٠٩، طبعة: مكتبة
المعارف للمطبوعات، بيروت / لبنان.
١٦. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، في كتابه:
الاستيعاب: ٣ / ١٠٩٨، طبعة: دار الجيل، بيروت / لبنان.
١٧. عبد الرؤوف المناوي، في كتابه: الكواكب الدرية في تراجم
السادة الصوفية: ١ / ٦٩، طبعة: المكتبة الأزهرية للتراث،
القاهرة / مصر.
١٨. المحامي: الأمالي: ٨٥، طبعة: المكتبة الإسلامية / الأردن.
١٩. أحمد بن إبراهيم القيسي، في كتابه: شرح هاشميات الكميت بن
زيد الأسدي: ١٩٧، طبعة: مكتبة النهضة: بيروت / لبنان.
٢٠. محمد الصبان الشافعي، المتوفى سنة: ١٢٠٦ هجرية، في كتابه:
إسعاف الراغبين: ١١١، مخطوط، المكتبة الشعبية بيروت.
٢١. محمد رشيد رضا، في كتابه: تفسير المنار: ٦ / ٤٦٤، طبعة: دار

- المعرفة، بيروت / لبنان.
٢٢. أحمد بن حنبل، المتوفى، سنة: ٢٤١ هجرية، في كتابه: العلل ومعرفة الرجال: ٣/ ٢٦٢، طبعة: المكتبة الإسلامية/ الرياض.
٢٣. أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي النيسابوري، المتوفى سنة: ٤٢٩ هجرية، في كتابه: ثمار القلوب من المضاف والمنسوب: ٢/ ٩٠٦، طبعة: دار البشائر، بيروت / لبنان.
٢٤. جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١ هجرية، في كتابه: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: ٢/ ٦٦، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.
٢٥. نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، المتوفى سنة: ٩١١ هجرية، في كتابه: جواهر العقدين في فضل الشرفين، فضل العلم الجلي والنسب النبوي: ٢٣٦، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.
٢٦. عبد الرؤوف المناوي، في كتابه، كنوز الحقائق: ٢/ ١١٨، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.
٢٧. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة: ٧٤٨ هجرية، في كتابه: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٣/ ٢٩٤، طبعة: دار إحياء الكتاب العربي، بيروت / لبنان.
٢٨. جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١ هجرية، في كتابه: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٢/ ٢٩٣، طبعة: محمد أمين، بيروت / لبنان.
٢٩. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة: ٨٠٧ هجرية، في كتابه: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٩/ ١٢٩، طبعة: دار الفكر، بيروت / لبنان.
٣٠. الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة: ٥٦٨ هجرية، في كتابه: مناقب علي بن أبي طالب: ١٥٦، طبعة: جامعة المدرسين، قم / إيران.
٣١. ركن الدين، أبو محمد، الحسين بن مسعود، أبي الفراء البغوي، المتوفى سنة: ٥١٦ هجرية، في كتابه: مصابيح السنة: ٤/ ١٧٢، طبعة: دار المعرفة، بيروت / لبنان.
٣٢. أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي، من علماء القرن الثالث

- المهجري، في كتابه: نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله): ٢٨٩، طبعة: دار صادر، بيروت / لبنان.
٣٣. كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة: ٦٥٤ هجرية، في كتابه: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤، مخطوط.
٣٤. أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، المتوفى سنة: ٣٣٥ هجرية، في كتابه: المسند: ١ / ١٦٦، طبعة: مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة.
٣٥. سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى سنة: ١٢٩٤ هجرية، في كتابه: ينابيع المودة: ١ / ٣٣، طبعة: المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف / العراق.
٣٦. عبد الرؤوف المناوي، في كتابه: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤ / ٣٥٨، طبعة: دار المعرفة / بيروت.
٣٧. أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، أخطب الخوارزمي، المتوفى سنة: ٥٦٨ هجرية، في كتابه: مقتل الحسين: ١ / ٤٧، طبعة: إيران.
٣٨. المتقي الهندي، في كتابه: منتخب كنز العمال: ٥ / ٣٠، طبعة: المكتب الإسلامي / بيروت.
٣٩. أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة: ٣٠٣ هجرية، في كتابه: النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ٤٣، طبعة: إيران.
٤٠. عفيف الدين، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، المتوفى سنة: ٧٦٨ هجرية، في كتابه: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان: ١٤٣، طبعة: مؤسسة الرسالة / بيروت.
٤١. عبد الله بن عمر البيضاوي، في كتابه: طوابع الأنوار: ١ / ٥٨٥، طبعة: الديار العامرة / مصر.
٤٢. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة: ٤٥٨ هجرية، في كتابه: الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة: ٢١٧، طبعة: دار الكتب العلمية / بيروت.
٤٣. الحافظ الطبراني، المتوفى سنة: ٣٦٠ هجرية، في كتابه: المعجم الأوسط: ٣ / ٦٩، طبعة: مكتبة المعارف / الرياض.
٤٤. أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة: ٣٠٣ هجرية، في كتابه: النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ٤٣، طبعة: إيران.

- هجريّة، في كتابه: السنن الكبرى: ٥ / ١٣٠، طبعة: دار المكتبة العلمية / بيروت.
٤٥. عبد الرحمن بن خلدون، المتوفى سنة: ٨٠٨ هجريّة، في كتابه: المقدمة: ٢٤٦، طبعة: دار الفكر / بيروت.
٤٦. جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني، المتوفى سنة: ٧٥٠ هجريّة، في كتابه: نظم درر السمطين: ٩٣، طبعة: القضاء، النجف الاشرف / العراق.
٤٧. محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، في كتابه: مشكاة المصابيح: ٣ / ١٧٢٠، طبعة: المكتب الإسلامي / بيروت.
٤٨. سيف الدين الأمدى، المتوفى سنة: ٦٣١ هجريّة، في كتابه: غاية المرام في علم الكلام: ٣٧٥، طبعة: القاهرة / مصر.
٤٩. أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، في كتابه: الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٣ / ١٢٧، طبعة: دار الكتب العلمية / بيروت.
٥٠. بدر الدين، أبو محمد بن أحمد العيني، المتوفى سنة: ٨٥٥ هجريّة، في كتابه: عمدة القاري، شرح صحيح أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة: ٢٥٦ هجريّة: ١٨ / ٢٠٦، طبعة: دار الفكر / بيروت.
٥١. محمد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي، المتوفى سنة: ١١٢٦ هجريّة، في كتابه: نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأظهار: ٥٤، طبعة: مؤسسة المفيد / بيروت.
٥٢. الشبلنجي، في كتابه: نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار: ٧٨، طبعة: المكتبة الشعبية.

١- أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ١٦٣.

٢- شمس الدين الذهبي، سير اعلام النبلاء: ١٩ / ٣٢٨.



دراسة نص حديث الغدير وأسانيده ومكانته في نظر أهل السنة

تُعدّ حادثة غدير خم من أبرز الأحداث في تاريخ الإسلام، وقد تمثلت هذه الحادثة بوضوح في المصادر الحديثية والتفسيرية والتأريخية لأهل السنة. ولا تقتصر العناية بهذه الحادثة على محتواها فحسب، بل تشمل أيضًا كثرة الرواة، وتنوع طبقات ناقلها، واستمرار نقلها على مدى القرون، ما يمنحها مكانة متميزة بين أحاديث النبي ﷺ. وتبيّن مراجعة المصادر لدى أهل السنة أن أصل الحادثة وصحة الحديث كان محل قبول واسع من المحدثين والمؤرخين. وتهدف هذه الدراسة، بالاعتماد على المصادر المعتبرة، إلى تبين نص حديث الغدير، واستعراض رواته من الصحابة والتابعين وعلماء القرون المختلفة، وتحليل مكانة الحديث في نظر أهل السنة.



د. محمد إسماعيل عبد الله
جامعة طهران - كلية الحكمة



تُعدّ حادثة غدير خم من أبرز الأحداث في تاريخ الإسلام، وقد تمثلت هذه الحادثة بوضوح في المصادر الحديثية والتفسيرية والتاريخية لأهل السنة. ولا تقتصر العناية بهذه الحادثة على محتواها فحسب، بل تشمل أيضاً كثرة الرواة، وتنوع طبقات ناقليها، واستمرار نقلها على مدى القرون، ما يمنحها مكانة متميزة بين أحاديث النبي ﷺ. وتبين مراجعة المصادر لدى أهل السنة أن أصل الحادثة وصحة الحديث كان محل قبول واسع من المحدثين والمؤرخين. وتهدف هذه الدراسة، بالاعتماد على المصادر المعتبرة، إلى تبين نص حديث الغدير، واستعراض رواته من الصحابة والتابعين وعلماء القرون المختلفة، وتحليل مكانة الحديث في نظر أهل السنة.

● تعريف وتفسيره حديث الغدير

وفقاً للنقل المتعدد لدى أهل السنة، ألقى النبي ﷺ خطبة مفصلة عند عودته من حجة الوداع في منطقة غدير خم، ابتدأها بحمد الله، وشهادة التوحيد والرسالة، وتذكير الأمة بمسؤولياتها. ثم أشار إلى مكانة القرآن وعترته باعتبارهما الثقلين، ورفع يد الإمام علي عليه السلام قائلاً: أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم؟ .. فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه (أميني، ١٤١٦ق، ج ١، ص ٣١-٣٦) ووفقاً لنقل أحمد بن حنبل، كرّر النبي ﷺ هذه الجملة أربع مرات، ثم دعا قائلاً: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه... (شيباني، ١٤١٥ق، ص ٤٠٥) وبعد انتهاء الخطبة، نزلت الآية: اليوم أكملت لكم دينكم... (المائدة: ٣؛ أميني، ١٤١٦ق، ج ١، ص ٣٦) ووصف النبي ﷺ هذه الآية بأنها علامة على اكتمال الدين وإتمام النعمة.

● رواية حديث الغدير في مصادر أهل السنة

رواية من الصحابة

أظهرت مراجعة المصادر المعتبرة لدى أهل السنة أن حديث الغدير نقله أكثر من ١١٠ من الصحابة، من أبرزهم: أبو بكر، عمر، عثمان، زيد بن أرقم، أبو هريرة، جابر بن عبد الله الأنصاري، سعد بن

أبي وقاص، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، عائشة، أم سلمة (أمني، ١٤١٦ق، ج ١، ص ٣١-٣٦). وذكر الحافظ السجستاني (ت ٤٧٧ق) في كتابه الدراية في حديث الولاية أنه نقل الحديث عن ١٢٠ صحابيا (ابن شهر آشوب، ١٤٢١ق، ج ٣، ص ٣٤)

● رواة من التابعين

نقله أيضًا ٨٤ تابعًا، من بينهم في القرن الأول الهجري: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، سليمان الأعمش، حبيب بن أبي ثابت، زر بن حبیش، وعمر بن عبد العزيز (شيباني، ج ٣، ص ١٦١؛ ابن كثير، ١٤٠٨ق، ج ٧، ص ٣٨٦). ويظهر هذا استمرار النقل الحضور الفعّال للحديث في البيئة الحديثية للأجيال الأولى.

٣. رواة في القرون الثانية والثالثة

في القرن الثاني الهجري نقل الحديث أكثر من ٥٦ عالمًا من أهل السنة، من بينهم: سفيان الثوري، وكيع بن جراح. أما في القرن الثالث، فقد نقله ٩٢ من كبار المحدثين، مثل الشافعي، أحمد بن حنبل، البخاري، الترمذي، والبلاذري (ابن كثير، ١٤٠٨ق، ج ٥، ص ٢٢٨؛ البخاري، بيتا، ج ١، ص ٣٧٥؛ البلاذري، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٠٨).

جدول: تصنيف رواة حديث الغدير في نظر أهل السنة

مصادر أنموذجية	العدد التقريبي	الفترة التاريخية	فئة الرواة
أمني، ١٤١٦ق؛ ابن شهر آشوب، ١٤٢١ق	١١٠-١٢٠	القرن ١هـ	الصحابة
شيباني، ج ٣؛ ابن كثير، ج ٧	+٨٠	القرن ١هـ	التابعون
ابن كثير، ج ٥	٥٦	القرن ٢هـ	علماء القرن الثاني
البخاري؛ الترمذي؛ البلاذري	٩٢	القرن ٣هـ	علماء القرن الثالث

مصادر أنموذجية	العدد التقريبي	الفترة التاريخية	فئة الرواة
الحاكم النيشابوري؛ الهيثمي	مئات	القرن ٤-١٤ هـ	القرون اللاحقة

● تحليل حديث الغدير في نظر أهل السنة

تُظهر مراجعة المصادر أن أصل واقعة الغدير وجملة «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» محل اتفاق المحدثين. وتتمثل الاختلافات في:

طريقة نقل الخطبة كاملة أو مختصرة،

● تفسير مفهوم «المولى».

فبعض المحدثين اقتصر على الإعلان الأصلي (شيباني، ١٤١٦ق، ج ٤، ص ٣٧٢)، وبعضهم نقل مضمون الخطبة العام (الحاكم النيشابوري، ١٤١١ق، ج ٣، ص ١٠٩)، بينما حذف البعض الآخر الدعاء الختامي (حجاج النيشابوري، ١٤٠٧ق، ج ٤، ص ١٨٧٣) ومع ذلك، فإن كثرة الطرق والرواة رفعت الحديث إلى مرتبة التواتر لدى كثير من علماء أهل السنة.

● الخاتمة

يُعد حديث الغدير، على وفق المصادر المعتبرة لدى أهل السنة، حديثاً قطعي الصدور وواسع النقل، وقد نقله عبر القرون الصحابة، والتابعون، وعلماء كبار. وتوضح هذه الكثرة أن غدير خم ليس مجرد تقرير تاريخي محدود، بل هو أحد الأحاديث الأساسية للنبي ﷺ في التأريخ الإسلامي، وله مكانة لا يمكن إنكارها في الدراسات الحديثية والكلامية لدى أهل السنة.

• المراجع

- ١- الامين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٣١-٣٦
- ٢- المصدر نفسه: ١، ٣٦
- ٣- المصدر نفسه: ١ / ٣١-٣٦
- ٤- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢ / ٢٤
- ٥- احمد بن حنبل، مسند احمد: ٢ / ١٦١، ابن كثير، البداية والنهاية ٧ / ٣٨٦
- ٦- ابن كثير، البداية والنهاية، ٥ / ٢٧٥، صحيح البخاري ١١ / ٣٧٥ البلاذري انساب الاشراف: ٢ / ١٠٨
- ٧- احمد بن حنبل، مسند احمد : ٤ / ٣٧٢

البيعة والوصية بالإمامة

قراءة مقارنة للمفهومين في واقعة الغدير



أ.م.د. أسعد عبد الرزاق الأسدي
جامعة الكوفة / كلية الفقه

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله الطاهرين، وبعد...

فُتِّعِدَ مسألة السلطة في الفقه السياسي الإسلامي
من أكثر المسائل تركيبيًا وتشعبًا، إذ يتداخل فيها
النص الديني مع الاجتهاد البشري، وتتقاطع
حولها الاعتبارات العقدية مع الرؤى الاجتماعية
والسياسية.

ومن بين المفاهيم المركزية التي شكلت هذا
الحقل المعرفي مفهوم (البيعة) باعتباره -حسب
بعض المباني- آلية تعاقدية ذات طابع اجتماعي،
ومفهوم (الوصية بالإمامة) باعتبارها تعيينًا ذا
طبيعة دينية نصية، وقد مثلت واقعة (غدير
خم) نقطة التقاء ومساحة تفاعل بين هذين
المفهومين، إذ تعد أنموذجًا يمكن أن يجمع بين
دلالة التنصيب الإلهي، وتوافر القبول الاجتماعي.
إن واقعة الغدير يمكن فهمها فهمًا تامًا من
كونها بنية مركبة، تتداخل فيها دلالات (الوصية)
و(البيعة)، بحيث تغدو أنموذجًا تفسيريًا يعبر عن
طبيعة السلطة في الإسلام بين البعد الإلهي والبعد
الاجتماعي.

وهذا لا يتصور بالنحو الذي يجعل من البيعة
أساسًا للحكم، وإنما تعد البيعة هنا حيثية ملازمة
وضرورية، وليست أمرًا مكملًا، بل ناجزٌ بحق
الجماعة، وكأن التنصيب نشأ من إنشاء نبوي،
وقبول اجتماعي، مما جعله ملزمًا محكمًا لا يقبل
الطعن أو التبديد.



أولاً: مفهوم البيعة في البنية الفقهية والسياسية

البيعة في أصلها اللغوي تدور حول معنى المعاقدة والمبايعة، وهي مأخوذة من البيع، إذ يضع كل من المتعاقدين يده في يد الآخر تعبيراً عن الالتزام، وقد انتقل هذا المفهوم إلى المجال السياسي ليعبر عن علاقة الطاعة والالتزام بين الأمة والحاكم، وفي المدونات الفقهية، لا سيما عند كثير من فقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى، تُعد البيعة أساساً لاعتقاد الإمامة، إذ تقوم على رضا أهل الحل والعقد، أو من يمثلهم من النخبة الاجتماعية والسياسية.

والبيعة، بهذا المعنى، تتجاوز الإجراء الشكلي إلى إرادة جماعية تمنح الشرعية السياسية، وتؤسس لعلاقة تعاقدية قائمة على الطاعة في المعروف، من هنا، فإن البيعة تمثل آلية اجتماعية لإنتاج السلطة، على وفق المفهوم الغالب لدى المذاهب الإسلامية.

ويمكن القول إن البيعة ذات مستويين: الأول يعبر عن كونها سبباً لاعتقاد الإمامة، والثاني يعبر عن كونها عقداً والتزاماً تابعاً ولاحقاً، بانهقاد الإمامة، وعلى كلا المستويين يمكن أن نفهم أن البيعة تتضمن عقد الالتزام بالشكل الذي يعطي قيمة إرادة الناس مقابل إرادة الحاكم.

وفي الفقه الإمامي تعد البيعة نوعاً من العقد أو المعاهدة تنعقد بالرضا والاختيار، ويترتب عليها الالتزام والطاعة للإمام المفترض الطاعة، ولا تؤسس لشرعية السلطة والحكم، بقدر ما هي عهد لاحق بالطاعة والنصرة، بعد تحقق الإمامة لمن يستحقها.

واستدل فقهاء الإمامية على وجوب البيعة وأنها مما ثبت بالنص، وأنها واجبة للإمام المفترض الطاعة، ولما كانت البيعة في الشريعة الإسلامية ذات أهمية كبيرة ولأنها وسيلة من وسائل التعبير عن الطاعة والولاء والانقياد لمن له البيعة الشرعية التي أمر الله بها، فمن هنا

استدل الفقهاء على مشروعية البيعة من الكتاب العزيز، وبعد تقصي موجز لآراء فقهاء الإمامية حول مفهوم البيعة، يمكن تقرير مواقف ثلاثة:

- ١- قسم منهم يفهم منه أن الأمة هي من تختار الذي تبايعه وهذا يظهر من تعريف القلقشندي والسبحاني تماشياً مع الجمهور.
- ٢- قسم آخر يرى أن الاتفاق لا بد أن يتم بين أهل الحل والعقد وبين الإمام المراد مبايعته، وهذا يظهر من تعريف ابن زهرة.
- ٣- قسم ثالث يرى أن أصل البيعة هو التعهد والعقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من قبول البيعة والوفاء بها، وهذا ما يظهر من نصوص بعضهم.

ثانياً: مفهوم الوصية بالإمامة في الفكر الإمامي

في مقابل الطابع التعاقدي للبيعة، يتأسس مفهوم (الوصية بالإمامة) في الفكر الإمامي على مبدأ النص والتعيين، إذ تعد الإمامة امتداداً للنسبة في وظيفتي الهداية والتشريع، بمعنى أن تعيين الإمام لا يخضع لاختيار الأمة، بل يتم بنص إلهي يبلغه النبي ﷺ، أو الإمام السابق. وتتجاوز الوصية هنا البعد السياسي لتدخل في صلب البنية العقدية، إذ ترتبط بمفهوم العصمة، وبحفظ الدين من التحريف، وباستمرار الهداية الإلهية في المجتمع، لذلك، فإن الإمامة في هذا السياق تعد منصباً إلهياً، لا يمكن تحصيله عبر البيعة أو الشورى.

ومع هذا المفهوم، قد يُتصور في بادئ الأمر أن البيعة لا داعي لوجودها في أصل الفرض الذي يؤسس الإمامة على الوصية والنص، لكن ذلك ممّا لا إشكال فيه، إذ يمكن أن يلحق بانعقاد الإمامة بحسب العقيدة الإمامية ما يسمى بعقد البيعة أو عهد البيعة، على اختلاف في



المباني الفقهية التي تنظر في مفهوم البيعة وقيمتها النظرية والشرعية على حد سواء.

ويمكن بيان أن الوصية أو النص المنشئ للإمامة ينشئها بمقامها الثبوتي والشرعي، والبيعة تبسطها بمقام الإجراء والفعل، الذي يجعل الإمامة وظيفة ناجزة مطبقة في الواقع العملي.

ثالثاً: واقعة الغدير باعتبارها نقطة التقاء

تمثل واقعة غدير خم، كما ترد في المصادر الإسلامية المختلفة، لحظة فارقة أعلن فيها النبي محمد ﷺ قوله: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))، وقد تعددت القراءات في دلالة هذا النص، بين من فسره على أنه إعلان للمحبة والنصرة، وبين من اعتبره نصاً في الولاية والإمامة، كما هو الثابت لدى الإمامية.

لكن ما يلفت النظر في هذه الواقعة هو السياق الذي وردت فيه، من حيث جمع الناس، وإلقاء الخطبة، وأخذ نوع من الإقرار أو القبول، وهنا يبرز تساؤل حول ما إذا كانت واقعة الغدير مجرد إعلان وصية، أم أنها تضمنت مرحلة لبيعة تمهيدية؟

إن قراءة تحليلية للواقعة تتيح القول: إن يوم الغدير يمكن أن يكون لحظة يلتقي فيها (التنصيب) و(الإشهار) في الوقت ذاته، إذ تم إعلان التعيين الإلهي، مقروناً باستدعاء نوع من التفاعل الاجتماعي الذي يرسخ مفهوم البيعة في وقت متقدم على مرحلة الخلافة التامة للرسول ﷺ، وإن لم يكن مطابقاً له في الاصطلاح الفقهي المتأخر.

رابعاً: بين النص والقبول الاجتماعي

تلفت واقعة الغدير النظر إلى العلاقة بين (النص) و(القبول الاجتماعي) في إنتاج الشرعية، فإذا كان النص - وفق الرؤية الإمامية

– كافيًا في ذاته لإثبات الإمامة، فإن إظهاره أمام الجماعة، واستحصال الإقرار منهم، يمكن أن يعد تأكيدًا على البعد الاجتماعي للسلطة، لا تأسيسًا لها.

وبعبارة أخرى، لا تمثل البيعة – وفق حدث الغدير – مصدرًا للشرعية، بل هي مظهرٌ من مظاهرها، إذ تعبر عن امتثال الأمة وقبولها للنص، لا عن إنشائها له، ومن هنا يمكن التمييز بين (البيعة الكاشفة) و(البيعة المنشئة)، إذ تنتمي واقعة الغدير – وفق هذا التحليل – إلى النمط الأول، فهي كاشفة عبر حيثيتين: الأولى كشف عن ثبوت الحق والشرعية لأمر المؤمنين ﷺ، والثانية أنها كشف عما ينبغي أن يكون عليه موقف الأمة مستقبلاً، بمعنى كشف عما يجب عليها، وليس كشف عما سيحدث.

خامساً: قراءة لمفهوم (البيعة في الغدير) ضمن الإطار الإسلامي العام

إذا سلمنا بإمكان وجود عنصر البيعة في واقعة الغدير، فإن ذلك يقتضي إعادة النظر في التصنيف التقليدي للبيعة، بحيث يمكن أن تؤدي وظيفة الإقرار بالنص، وهذا ما يفتح أفقاً نظرياً لإعادة قراءة العلاقة بين الفقه السياسي الإمامي وبعض مفاهيم الفقه السياسي العام.

كما تتضح طبيعة السلطة في الإسلام، بوصفها تقوم وتشكل من تفاعل النص مع الواقع، ومن تداخل البعد الإلهي مع البعد الاجتماعي.

فالبيعة عنصر مشترك عام بين مختلف الاتجاهات الإسلامية، ومما لا يختلف على رجحانها اثنان من المسلمين، وحضور البيعة كممارسة في أثناء الوصية والتعيين، يمنح واقعة الغدير طابعاً إسلامياً عاماً، يتجاوز الاختلافات المذهبية والعقدية.

ومن جهة أخرى، يمكن أن يعمل (توفر البيعة في واقعة الغدير)، على تنقيح المعنى بنحو جلي من مفردة (الموالاتة)، التي اختلف حولها كثير من المسلمين، ومع التسليم بوجود البيعة ضمن سرديّة الحدث، لا يبقى أدنى شك بأن مفهوم (الموالاتة أو المولى) واضح في الإمامة.

سادساً: الغدير في الوعي الإسلامي المعاصر

ما تزال واقعة الغدير حاضرة بقوة في الوعي الإسلامي، لا سيما في الفكر الإمامي، إذ تعد أساساً ومحوراً لنظرية الإمامة، لكن إعادة قراءة الغدير في ضوء العلاقة بين البيعة والوصية يمكن أن تسهم في تقليل حدة التقابل بين الرؤى المختلفة، عبر إثبات أن الحدث ذاته يحتمل أكثر من مستوى دلالي.

فمن جهة، يؤكد الغدير - وفق الرؤية الإمامية - على مبدأ التعيين الإلهي، ومن جهة أخرى، يبرز فيه حضور الجماعة بوصفها شاهدة ومقررة، وهو ما يمكن أن يشكل أرضية مشتركة للحوار الفكري بين المذاهب حول هذه المسألة ذات الأبعاد المشتركة.

ويتبين عبر هذه القراءة أن واقعة الغدير تمثل أنموذجاً لتحليل العلاقة بين (البيعة) و(الوصية بالإمامة)، إذ يمكن فهمها على أنها لحظة يتداخل فيها التنصيب الإلهي مع الإشهار الاجتماعي، من خلال إلقاء الحجة والإلزام، ولا يعني ذلك دمج المفهومين أو إلغاء الفوارق بينهما، بقدر ما هو كشف عن إمكان الالتقاء في مستوى التطبيق التاريخي.

وعليه، فإن إعادة قراءة الغدير في ضوء هذا التداخل يتيح تطوير فهم أكثر نضجاً للسلطة في الإسلام، بعيداً عن الاختزال، وقريباً من استيعاب تفاصيل النص والواقع وحشيتاهما، بما يفتح المجال أمام مقاربات جديدة في الفقه السياسي الإسلامي.

الخاتمة

تبين هذه القراءة أن العلاقة بين مفهومي البيعة والوصية بالإمامة ليست علاقة تعارض أو تنافٍ، بل يمكن فهمها ضمن بنية تكاملية تتجلى بوضوح في واقعة الغدير، إذ تمثل هذه الواقعة أنموذجاً يتضمن التنصيب الإلهي باعتباره أساس الشرعية، والقبول الاجتماعي بوصفه مظهرًا لإظهار هذه الشرعية وتفعيلها في الواقع. وتؤكد العقيدة الإمامية أن الإمامة تثبت بالنص والتعيين، لا بالبيعة، لكن البيعة تحتفظ بوظيفتها باعتبارها عهدًا بالطاعة والتزامًا عمليًا يكشف عن موقف الأمة تجاه هذا التعيين، ومن هنا يظهر التمييز بين البيعة الكاشفة التي تعبّر عن الامتثال للنص، والبيعة المنشئة التي تُعد أساسًا للسلطة في بعض الاتجاهات الأخرى.

وبناءً على ذلك فإن يوم الغدير يمثل إطارًا تفسيريًا لتحليل طبيعة السلطة في الإسلام، قائمًا على الجمع بين الإلزام الإلهي والإقرار الاجتماعي، بما يسهم في تطوير مقاربات أكثر نضجًا في فهم الإمامة والشرعية السياسية.

الإمامة الإلهية

(دراسة تحليلية في ضوء العقل والنقل)

الإمامة الإلهية رئاسة عامّة في أمور الدين والدنيا، وحجة بين الله تعالى وبين ذوي العقول من عباده؛ لتدبير حياتهم في أمر معاشهم ومعادهم، والإمام هو الإنسان الحجة الظاهرة لله تعالى، والاعتقاد بأن الله سبحانه قد جعل أئمة وأوصياء بعد الأنبياء والرسول؛ لترسيخ التوحيد بين الناس وشجب أيّ عبادة سواه، يعد من عناصر الإيمان الأساسية، ولكي تتضح الصورة أكثر في المسألة سنبحثها ضمن مطلبين في عدّة نقاط على الترتيب:

المطلب الأول: الإمامة العامّة

المقصود من الإمامة العامّة مجموعة المسائل المشتركة بين جميع الأئمة، ولا تختص بإمام بعينه، وسنشير في هذا المختصر لجملة من هذه المسائل:



د. جاسم هاشم الموسوي
جامعة الكوفة - كلية الفقه



الأشياء التي لا ضرورة فيها في البقاء؛ كإنبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين وتقدير الأخص من القدمين وأشياء أخرى.

فلا يجوز أن تكون العناية الإلهية تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه، أعني الإمامة الإلهية، التي هي أساسها، وكذا لا يجوز أن يكون الباري تعالى يعلم ذلك ولا يعلم هذا، ولا يجوز أيضاً أن يكون ما يعلمه في نظام الخير الممكن وجوده، الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير، لا يوجد، بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبني على وجوده.

فواجب إذن أن يوجد إمام، وواجب أن يكون إنساناً، وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس، حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم فيتميز به منهم^(١).

٢ - خصائص الإمامة

ذكر العلماء جملة من الأمور التي اختص بها الأئمة عمّن سواهم من البشر منها العصمة،

أشار أساطين الفلسفة والكلام إلى عدة براهين في ضرورة النبوة والرسالة، هي بعينها الدليل على ضرورة الإمامة الإلهية، منها أن الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو أنفرد وحده شخصاً واحداً يتولى تدبير أمره من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجته، ولهذا اضطروا إلى عقد المدن والاجتماعات.

إذن، الإنسان يحتاج في بقاءه إلى مشاركته، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة، كما لا بدّ في ذلك من سائر الأسباب التي تكون له، ولا بدّ في المعاملة من سنة وعدل، ولا بدّ للسنة والعدل من سانٍّ ومُعدّل، ولا بدّ من أن يكون هذا الإنسان والمعدل بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة، ولا بدّ أن يكون إنساناً، ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون.

فالحاجة إلى هذا الإنسان الخاص من أجل أن يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجوده، هي أشد من الحاجة إلى كثير من

وهي لغة تعني:

المنع والمنعة والامتناع بالشيء واللجوء إليه، والاعتصام بالله تعالى هو اللجوء إلى لطفه سبحانه وتوفيقه، حيث يهيئ تعالى بلطفه وتوفيقه ما يحفظ الشخص عن الشر، وعن الوقوع في المعاصي والفواحش، هذا ما عليه علماء اللغة^(٢)، وفي اصطلاح الإمامية لطف لا داعي معه إلى ترك الطاعة ولا إلى ارتكاب المعصية مع القدرة عليها^(٣).

وقد أقام متكلمو الإمامية أدلة كثيرة من العقل والنقل على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنب مطلقاً، منها أنّ حصول غرض الأئمة إنما يتحقق في ظل وثوق الناس بشخصهم، والحال أن المعصية تسلب منهم ثقة الناس، وهذه تجر إلى نقض الغرض، ومن القرآن الكريم آيات طاعة أولي الأمر، فلازم الطاعة العصمة.

٣- طرق اثبات الإمامة

الطريق الأساسي إلى اثباتها النص؛ وذلك لأنّه من جملة شرائطها العصمة، وهي من الأمور الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى على أنّ النبي صلى الله عليه وآله لو قال: إن الإمام بعدي فلان فلا بدّ أن يكون الأمر كما أخبر.

ثم أن هناك أموراً تعدّ في دلالة النص من جملتها قطعية الطريق الذي وصل بواسطته، ووضوح دلالاته وانطباق الأمارات والسمات بوضوح تام على الإمام، وإلا فإنه بدون ذلك يكون الطريق عقيماً.

ولا ينافي ذلك القول بالاختيار؛ إذ إن عصمتهم تعني: أنهم بلغوا من العلم واليقين حداً لا تنقذ في نفوسهم الدواعي، فضلاً عن فعلها، وهذا لا ينافي قدرة الإنسان على المعصية، كما أن الإنسان الاعتيادي الشريف معصوم عن بعض الأفعال القبيحة، ككشف العورة أمام الناس في الشارع، مع قدرته على ذلك، لكن لشدة قبحها في نظره لا ينقذ في نفسه الداعي لفعلها فضلاً عن القيام بها.

الإمامة الخاصة

المقصود من الإمامة الخاصة هي مجموعة المسائل التي تختص بإمام بعينه، وسنشير في هذا المختصر للنص على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من كتب المخالف.

النص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

وأهمية هذا الحديث باعتبار صحته لدى أئمة الحديث ووضوح معانيه وصريح دلالاته، فأما صحته فلم يشكك فيها إلا آحاد من علماء السنة، منهم ابن حزم وابن تيمية ومن سار على نهجهم من الفرقة الوهابية، الذين سعوا إلى إنكار كل فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، وأما صريح دلالاته فقد ناقش فيها جمهور علماء السنة، انقلاباً على ما هو صريح الدلالة بعد ابتلائهم بجملته من الثوابت التي لا يمكنهم رفع اليد عنها، خصوصاً إمامة الثلاث، فردوا كل دليل بعدها مهما كان مستوى صحته وقوة دلالاته.

١ - طرق حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)

أخرج محدثو السنة وحفاظهم حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)

فقد أخرج كبار محدثيهم وحفاظهم كثيراً من روايات النص التي يستدل بها الشيعة على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، من جملتها حديث الغدير، وهو من أهم الأدلة التي استدل بها الإمامية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ووجوب طاعته، فقد روى كبار محدثي السنة وحفاظهم بطرق صحيحة ومعتبرة وألفاظ كثيرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجع من حجة الوداع، نزل غدير خم، وأمر بدوحات فقممّن، فقال: (كأني قد دعيت فأجبت أني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)، ثم قال: (إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل



مولاه) بطرق كثيرة وألفاظ عديدة، لا يسع هذا المختصر ذكرها كلها، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده من طريق رياح بن الحرث، قال: «جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدیر خم يقول: (من كنت مولاه فإن هذا مولاه)، قال رياح: فلما مضوا تبعتهم، فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري»^(٩).

ذكره الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، وقال: «أخرجه الترمذي، قال: «حديث حسن صحيح»، قلت: وإسناده صحيح على شرط الشيخين»^(١٠)، وقد أدرجه في (صحيح سنن الترمذي)، وصححه، قال: «صحيح»^(١١).

وأخرج ابن ماجه في سننه، بسنده إلى سعد بن أبي وقاص، قال: «قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً، فقال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا الرجل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١٢).

وقد أورده عنه الهيثمي في زوائده، وقال: «ورجال أحمد ثقات»^(٥)، وذكره الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، وقال: «وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات»^(٦)، وصححه حمزة أحمد الزين (محقق كتاب المسند)، قال: «إسناده صحيح»^(٧)، وصححه شعيب الأرناؤوط (محقق كتاب المسند أيضاً)، قال: «إسناده صحيح»^(٨).

وأخرج الترمذي في سننه من



«صحيح»^(١٦).

وأخرج النسائي في (خصائص أمير المؤمنين علي)، بسنده إلى زيد بن أرقم، قال: «لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات»^(١٧)، فقوم من، ثم قال: ((كأني دعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، ثم قال: ((إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن))، ثم أخذ بيد علي، فقال: ((من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه»^(١٨).

وقد أخرجه بهذا السند الحاكم في مستدركه أيضاً وصححه، قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله»^(١٩)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص^(٢٠)، وأخرجه

صححه الألباني، قال في حكمه على هذا الحديث من (سنن ابن ماجه): «صحيح»^(١٣).

وأخرج الحاكم في مستدركه، من طريق زيد بن أرقم، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى غدير خم، فأمر بروح فكسح في يوم، ما أتى علينا يوم كان أشد حرّاً منه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (يا أيها الناس، إنه لم يبعث نبي قط إلا ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده كتاب الله عز وجل)، ثم قام فأخذ بيد علي - رضي الله عنه - فقال: ((يا أيها الناس، من أولى بكم من أنفسكم؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، ((ألست أولى بكم من أنفسكم؟)) قالوا: نعم، قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))»^(١٤).

وقد صححه الحاكم، قال بذيله: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»^(١٥)، ووافقه الذهبي في التلخيص، قال:



٢- دلالة حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)

إن المتأمل في حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) والناظر إليه بعين الإنصاف والموضوعية يجد أنه صريح الدلالة على إمامة أمير المؤمنين، وقد تضمن ألفاظاً وشواهد كثيرة كلها تثبت ذلك المقام للإمام بعد رسول الله ﷺ، لكن الركن الأساسي في الاستدلال بالحديث هو الوقوف على معنى ولاية رسول الله ﷺ المشار إليه في الحديث الآنف، وصريح صدر الحديث يؤكد أن المقصود بها هو الولاية الواردة في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

فقد ورد فيه أن رسول الله ﷺ خاطب الصحابة والمسلمين قائلاً: ((ألست أولى بكم من أنفسكم؟)) قالوا: نعم، فقال حينئذ: من كنت مولاه فعلي مولاه))، وفي لفظ آخر قال: ((إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن... من كنت وليه فهذا وليه))، وفي لفظ ثالث: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)).

ابن كثير في (البداية والنهاية)، وحكى صحته عن الذهبي، قال: «قال شيخنا الذهبي: وهذا حديث صحيح»^(٢١).

وأخرج البزار في مسنده من طريق عمرو ذي مر، وعن سعيد بن وهب، وعن زيد بن يثيع، قالوا: «سمعنا علياً يقول: نشدت رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: يوم غد ير خم لما قام، فقام إليه ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ - قال: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟))، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي، فقال: ((من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله))»^(٢٢).

وقد أورده عنه الهيثمي في الزوائد، وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة»^(٢٣)، وأخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده، وصححه أحمد محمد شاكر (محقق المسند)، قال: «إسناده صحيح»^(٢٤).





وبحكم المماثلة فإن المقصود من ولاية أمير المؤمنين في حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) هو نفس ولاية رسول الله في الحديث، وهي الولاية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وولاية رسول الله ﷺ في هذه الآية المباركة بمعنى أنه الأحق والأولى بأمر المسلمين وشؤونهم من أنفسهم.

فهذه الولاية لرسول الله ﷺ على المؤمنين بمعنى الأحق بالأمر والأولى في الطاعة، ووجوب الاتباع والانصياع، هي التي أثبتها الرسول لأمر المؤمنين في حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)؛ وذلك لأن النبي ﷺ قد جعل ولاية علي ﷺ على المؤمنين متفرعة عن ولايته، إذ قال: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه)) (٢٥).

والتفريع بالفاء (فعلي مولاه) في سياق الحديث صريح في أن

المراد إثبات ولاية النبي ﷺ على المؤمنين لعلي ﷺ، وهذا صريح في أن الحديث بصدد إثبات وجوب الانقياد والطاعة لعلي؛ وذلك لأن ولاية النبي هي ولاية طاعة وانقياد وتسليم، بصريح الآيات القرآنية وأقوال المفسرين المتقدمين.

وكأن النبي ﷺ يريد أن يقول بأن ولايتي عليكم، التي أثبتها الله تعالى لي في القرآن الكريم، التي هي ولاية إطاعة وتسليم، هي بعينها وبذاتها وبجميع خصائصها ثابتة لعلي ﷺ.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾،
فقد أخرج كثير من محدثي
السنة وحفاظهم في أن قوله تعالى:
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي
مُحَمَّصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، نزل
بعد خطبة الغدير، وبشكل أكثر
تحديداً بعد إبلاغ رسول الله إمامة
أمير المؤمنين وولايته وتنصيبه
إماماً من بعده على الأمة.

فقد أخرج الخطيب البغدادي
وغیره بسند صحيح من طريق
أبي هريرة، قال: "لما أخذ النبي
ﷺ بيد علي بن أبي طالب، فقال:
(أأست ولي المؤمنين؟) قالوا: بلى
يا رسول الله، قال: (من كنت
مولاه فعلي مولاه)، فقال عمر
بن الخطاب: بخ بخ لك يا
بن أبي طالب، أصبحت مولاي
ومولى كل مسلم، فأنزل الله:
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾» (٢٨).

ونزول هذه الآية المباركة
بعد حديث الغدير من الأدلة
الواضحة على أن المراد من قول

ومّا يؤكد المماثلة بين ولاية
رسول الله في حديث (من كنت
مولاه فعلي مولاه) وولاية الإمام
هو وجود شواهد كثير عليها،
منها نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ﴾، فقد أخرج كثير من
محدثي السنة وحفاظهم في أن قوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ
مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، نزل
قبل واقعة غدير خم، وبشكل
أكثر تحديداً قبل خطبة النبي
الأكرم.

فقد أخرج ابن أبي حاتم في
تفسيره، بسنده عن أبي سعيد
الخدري، قال: «نزلت هذه الآية:
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في علي بن أبي
طالب» (٢٦)، وقد التزم ابن أبي
حاتم في مقدمة تفسيره بإخراج
أصح الأخبار إسناداً، حيث قال:
«فتحريت إخراج ذلك بأصح
الأخبار إسناداً وأثبتها متناً» (٢٧).

ومنها نزول قوله تعالى:

النبي : "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" هو إثبات الإمامة والخلافة لعلي من بعده ؛ إذ لا يوجد ما يصلح لإكمال الدين وإتمام النعمة في حديث الغدير إلا مقام الخلافة والإمامة في الأمة ؛ لأن الإمامة تعني حفظ الدين وقيادة الأمة والدفاع عن الرسالة الإسلامية بعد وفاة النبي ."

الخاتمة

الدليل من العقل على أن ضرورة الإمامة الإلهية ؛ لحفظ النوع الإنساني، قاطعة، ودلالة النصّ على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بيّنة على أنّ هذه الإمامة لم يدّعها غيره وأئمة الهدى عليه السلام، والدليل فرع الدعوى.



٧. أحمد بن حنبل، المسند: ٤١٩/٥، الأحاديث مذيبة بأحكام شعيب الأرناؤوط.
٨. الترمذي، سنن الترمذي: ٥١/٥، ح ٣٧١٣.
٩. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣٣٢-٣٣١/٤.
١٠. الألباني، صحيح سنن الترمذي: ٥٢٢/٣.
١١. ابن ماجة، السنن: ١/٧٦ ح ١٢٠، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الألباني.
١٢. المصدر نفسه.
١٣. الحاكم النيسابوري، المستدرک، مع تضمينات الذهبي في التلخيص: ٦١٣/٣ - ٦١٤.
١٤. المصدر نفسه.
١٥. المصدر نفسه.
١٦. الدوحات، جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة، (لسان العرب: ٤/٤٣٧).
١٧. النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٧١-٧٢.
١٨. الحاكم النيسابوري، المستدرک مع تضمينات الذهبي في التلخيص: ١١٨/٣.
١٩. المصدر نفسه.
٢٠. ابن كثير، البداية والنهاية: ٥/٢٠٩.
٢١. البزار، مسند البزار: ٣/٣٥.
٢٢. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/١٣٠ ح ١٤٦١٤.
٢٣. أحمد بن حنبل، المسند: ١٨/٢ ح ٩٥١، شرحه وضع فهارسه: أحمد محمد شاكر.
٢٤. المصدر نفسه: ٧٣.
٢٥. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم: ٤/١١٢٧.
٢٦. المصدر نفسه: ١/١٤.
٢٧. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٨/٢٨٩، وقد تقدم تصحيح سند هذا الحديث.
٢. ظ: الشفاء، ابن سينا: ٤٤١-٤٤٢.
١. قال الفراهيدي: «العصمة: أن يعصمك الله من الشر، أي يدفع عنك، واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشر، واستعصمت أي أبيت، وأعصمت فلاناً: هيأت له ما يعتصم به، والغريق يعتصم بما تناله يده، أي: يلجأ إليه، والعصمة قلادة، ويجمع على أعصام» [كتاب العين، الفراهيدي: ١/٣١٣-٣١٤]، وقال الجوهري: «العصمة: المنع، يقال: عصمه، أي منعه من الجوع. والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فاعتصم. واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه عن المعصية. وعم يعصم عصماً: اكتسب. واعصمت فلاناً إذا هيئت له في الرحل أو السرج ما يعتصم به لئلا يسقط، وأعصم إذا تشدد واستمسك بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه أو راحلته، وكذلك اعتصم به واستعصم به، وأعصم الرجل بصاحبه: لزمه» [الصحاح، الجوهري: ٥/١٩٨٦]، وقال ابن منظور: «وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه... واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، والعصمة الحفظ. واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية. واعتصم به واستعصم: امتنع وأبى» [لسان العرب، ابن منظور: ١٢/٤٠٣].
٢. ظ: الفاضل المقداد، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٣٠١-٣٠٢.
٣. أحمد بن حنبل، المسند: ١٧/٣٦ ح ٢٣٤٥٣، شرحه وضع فهارسه: حمزة أحمد الزين.
٤. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/١٢٩ ح ١٤٦١١.
٥. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/٣٤٠.
٦. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/٣٤٠.

المكان والمحدث في الجغرافية، أثر الموقع في صناعة القرار

غدير خم أنموذجاً





للجغرافية الدينية والتأريخية أثرٌ مهمٌ في صناعة الأحداث، فهناك علاقة بين المكان والحدث، فالمكان هنا ليس عنصراً جامداً بل محوراً فاعلاً للأحداث وهدفٌ يحمل أبعاداً مادية ورمزية، ويتفاعل مع الإنسان في إطار تاريخي واجتماعي متغير، ومن هنا برزت أهمية دراسة غدير خم باعتباره موقعا جغرافياً طبيعياً، تحول نتيجة حدث تاريخي إلى نقطة ارتكازية مهمة في ذاكرة الأمة الإسلامية.

من هنا نطرح سؤالاً حول هذا الموضوع، ونحاول الإجابة عنه بشكل علمي، والسؤال:

هل كان اختيار مكان غدير خم لإعلان هذا الحدث المهم هو اختيار اعتباطي، أم أنه اختيار مكاني مدروس وواعٍ على وفق معطيات جغرافية طبيعية وسكانية لشبه الجزيرة العربية؟



الإجابة عن هذا السؤال هي: (أن اختيار مكان غدير خم لم يكن اختياراً عشوائياً، بل هو اختيار بأمر إلهي، وأن النبي لم ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فضلاً عن ذلك ارتبط المكان بعوامل جغرافية مهمة نذكر منها:

١- يتميز الغدير بموقع جغرافي مهم؛ إذ إنه يقع على الطريق الرئيس الذي يربط مكة بالمدينة المنورة.

٢- قربه من المكان الذي يمثل نقطة تفريق الحجاج والقوافل بعد إتمام موسم الحج، وقد وقع إعلان الولاية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مكان غدير خم مكان تجمع الحجاج قبل تفريقهم، وهذا ما يمثل تأثير الجغرافية في أهمية القرار، إذ إن اختيار نقطة قريبة من مفترق الطرق يزيد من انتشار الرسالة قبل مغادرة أعداد كبيرة من الناس وعودتهم إلى بلدانهم.

٣- في هذا المكان يوجد مورد مائي موسمي في بيئة صحراوية جافة يجعله موضعاً للتجمعات البشرية، وأن إعلان هذا الحدث المهم يحتاج إلى تجمعات بشرية كبيرة.

من هنا جاءت أهمية اختيار هذا المكان لإعلان ولاية الإمام علي عليه السلام إعلانه ولياً وخليفة للمسلمين، وتذكر بعض الروايات أن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل الذهاب إلى مكة للحج في حجة الوداع أرسل الكتب والمراسيل إلى جميع المناطق التي دخلت الإسلام يخبرهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه خارج للحج هذا العام يدعوهم للخروج للحج كل من كان مستطيعاً، وهذا يعني نفيراً عاماً، وذلك كله هو تمهيد لإعلان ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن في حادثة غدير خم لم يكن اختيار المكان اختياراً عشوائياً، بل اختيار بعناية ودقة لتناسب مع اختيار المكان الذي يؤثر في صناعة الأحداث.

بعد إعلان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاية الإمام علي عليه السلام في غدير خم، لم يعد المكان مجرد موقع طبيعي، بل تحول بعد ذلك لحدث ورمز ديني تاريخي جغرافي لهوية ثقافية وروحية لدى الأمة الإسلامية، وارتبط اسم غدير خم بذكرى دينية سنوية وأصبح عيداً يحتفى به سنوياً لدى



الشيعة، وأصبح رمزاً يدل على الولاء والهوية والقداسة والإمامة، وأثبتت الدراسات والأبحاث العلمية التي تدرس الأماكن أن الأماكن التي تحدث فيها أحداث مهمة في التاريخ ولا سيما أحداث ثقافية أو عقديّة سوف تنتقل من الحالة الطبيعيّة إلى حالة قدسية المكان ورمزيته، إذ تحول هذا المكان إلى عنوان القداسة والولاء والهوية، وهو ما يدل على الارتباط الفاعل بين الجغرافية والذاكرة التاريخية والإسلامية للامة.

أولاً: الموقع الجغرافي لغدير خم:

غدير خم يقع بين مكة والمدينة بالجحفة، وهو على بعد ثلاثة أميال من الجحفة، وقد ذكر صاحب المشارق أن خمها هو اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها، وخم هو موضع تصب فيه عين، ويقع بين الغدير والعين مسجد رسول الله ﷺ، والجحفة على مسافة قريبة من غدير خم وواديّه يصب في البحر، ومن النباتات التي تنبت فيه المرخ الشام والاراك والعشر، وأن غدير خم هذا لا يفارقه ماء المطر أبداً، ويعيش فيه ناس من خزاعة وكنانة.

وقال الحازمي: إن خم هو واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، وفيه خطب رسول الله ﷺ خطبة الولاية، وهذا الوادي يتصف بكثرة الوحامة، وأن خمها جاء من خممت البيت أي كنسته، ويقال فلان مخموم القلب أي نقيه، فكأنها سمي لنقاء مائه، وقال الزمخشري: خم اسم رجل صباغ، ثم أطلق بعد ذلك على ما أضيف إلى الغدير، الذي هو بين مكة والمدينة، وخم أيضاً ورم: بئران حفرهما عبد شمس بن عبد مناف وقال:

«حفرت خمها، وحفرت رما حتى ترى المجد لنا قد تما»

«وقال محمد بن إسحاق الفاكهي بئر خم قريب من المثيب حفرها مرة بن كعب بن لؤي، وقال: كان الناس يأتون خمها في الجاهلية والإسلام في الدهر الأول يتنزهون به ويأتون اليه»^(١).

غدير خم تقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة بالقرب من الجحفة، ويبعد عن مكة بمسافة حوالي (١٥٧) كيلو متراً تقريباً، والجحفة هي ميقات أهل الشام ومصر يمرون عليها ويحرمون منها



الحجاج للحج والعمرة^(٢).

تقع الحجاز في القسم الغربي من شبه الجزيرة العربية وتمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من خليج العقبة شمالاً حتى منطقة عسير جنوباً تقريباً، وتمثل منطقة انتقالية بين السهل الساحلي تهامة شرق البحر الأحمر وسلسلة جبال السروات الممتدة موازية للساحل ثم الهضاب الداخلية شرقاً^(٣).

وقد منح هذا الموقع لبلاد الحجاز أهمية استراتيجية؛ كونه يعد معبراً طبيعياً بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها، ويعد ممراً يربط اليمن بالعراق وبلاد الشام، وهذا ما جعله حلقة اتصال رئيسة تربط شبكات التجارة.

أما الأبعاد الزمانية فتتمثل في القرن الأول الهجري في السنة العاشرة للهجرة في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة وهي الإطار الزمني للحدث.

المفهوم العام لغدير خم، وماذا يعني غدير خم في اللغة العربية:

معنى الغدير: هو المنخفض الطبيعي من الأرض الذي يجتمع فيه ماء المطر أو ماء السيل.

وخم: بضم الخاء المعجمة، وميم: بئر كانت بمكة، قيل: هي حفرة كلاب بن مرة أبي قصي، وقيل حفرة وحفر رم، عبد شمس بن عبد مناف^(٤).

وقيل: خم - اليوم - شعبتان تقع جنوب المسجد الحرام على مسافة خمسة أميال أو أقل، أحدهما تدعى خمّاً والأخرى خيماً، وتصبّان من جبل سدير، فتجتمعان لتكونان رأس بطحاء قريش التي تذهب إلى عرنة.

وفي خم مسك لماء المطر يخرج إليه أهل مكة إذا مطرت للتنزه، وعندما تجتمع الشعبتان توجد بئر كان فيها الماء إلى عهد قريب، وربما هي بئر خم المقصودة في هذا المقال، ومن هذه البئر بالإمكان رؤية الميثب مغيب الشمس^(٥).

وقال الزبير عن الأثرم عن أبي عبيدة، خم هي بئر حفرة عبد



شمس بالبطحاء وقال:

«وفي يوم الغدير غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا»

ويعرف غدير خم اليوم باسم (الغربة) وهو غدير فيه نخل قليل لأناس من البادية، وسمي وادي الخرار، وكانت عين جحفة تتبع بقرب الغدير، وما زالت ماثلة للعيان، وتوجد حول الغدير من الغرب والشمال الغربي آثار تدل على أن بعضها ربما كان قصورا أو قلاعاً، وربما كان هذا حياً من أحياء مدينة الجحفة فالآثار فيها تتشابه^(٦).

وإن منطقة غدير خم هي منطقة تتشعب عندها الطرق إلى العراق ومصر والمدينة واليمن، فهي منطقة استراتيجية مهمة ولأهميتها الاستراتيجية، كان الاجتماع الديني والتاريخي الذي عقده رسول الله محمد ﷺ قبل رجوع الناس وتفريقهم إلى بلدانهم بأمر من الله عز وجل للإعلان عن خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعده، وأنه الإمام والوصي والولي الذي يتولى أمور وقيادة الأمة.

ثانياً: المكان وما شاهده من أحداث تاريخية:



قد شهدت منطقة غدير خم أحداثاً مهمة في التاريخ، حيث تكرر توقف النبي محمد ﷺ في هذه المنطقة ثلاث مرات:

١- عند هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

٢- عند ذهابه إلى مكة المكرمة في حجة الوداع.

٣- عند عودته إلى المدينة المنورة من حجة الوداع، حيث كان يوم غدير خم هذا الحدث المهم الذي نُصّب فيه الإمام علي خليفة وإماماً ووصياً من بعد رسول الله محمد ﷺ^(٧).

وكل موقف من هذه المواقف الثلاثة يمثل بعداً مهماً في مسيرة التاريخ الإسلامي، فالهجرة النبوية كانت بداية لانتشار الدعوة الإسلامية وتوسعها خارج إطار مكة المكرمة، ومن ثم إلى العالم كله، أما حجة الوداع والعودة منها إلى المدينة المنورة فكانت ختم الرسالة، حيث اكتمل الدين وتمت النعمة، وأن بيعة الغدير هي التمهيد لبداية جديدة لبداية عهد الإمامة والإمام حيث ينتهي عهد الرسالة والرسول.

ومن هنا اكتسب موضع الغدير (غدير خم) أهميته الجغرافية في التراث الإسلامي ومنزلته التكريمية، بوصفه معلماً مهماً من المعالم التاريخية الإسلامية^(٨).

وأن منطقة غدير خم، لا بد من الاهتمام بها وحفظ آثارها والاعتزاز بها، ولكن مع شديد الأسف تتعرض هذه المنطقة إلى الإخفاء المتعمد من الوهابية، إخفاء جميع المعالم الإسلامية والأثرية المنتشرة في أرض الحجاز، ولاسيما في منطقة الحرمين الشريفين والقضاء عليها لأغراض واضحة.

أمّا فيما يخص عدد المسلمين الذين حضروا في واقعة الغدير آنذاك، فأقل الأقوال تقول سبعون ألفاً وأكثرها تقول بأنه كان بصحبة الرسول ﷺ ما يقارب مائتي ألف مسلماً، تقاطروا من كل حذب وصوب لينالوا شرف حجة الوداع للرسول ﷺ وثوابها^(٩).

ثالثاً: البنية الجيومورفولوجية والتضاريس:

تمثل الحجاز رقعة جغرافية لها خصائصها الطبيعية والبشرية المتميزة، ضمن نطاق شبه الجزيرة العربية، وقد ساعدت هذه الخصائص على تكوين البنية الجيومورفولوجية والتأريخية والسياسية للمنطقة، وإن الجغرافية المكانية لا تقتصر على وصف المناخ والتضاريس والبنية الأرضية، بل تمتد لتفسير أشكال الحركة البشرية وتوزيع الموارد الطبيعية^(١٠).

يتكوّن موضع غدير خم من أرض تكون منبسطة نسبياً، وتحيط بها مرتفعات منخفضة، وهذا ما يتيح الفرصة لتجمّع مياه الأمطار فيه، وهذا ما يعرف في علم الجغرافية باسم الأحواض التصريفية المغلقة، وإن أودية الحجاز تتسم بجفافها في معظم أيام السنة وقصر مجاريها، ولكنها ذات أهمية موسمية بعد سقوط الأمطار.

أما أهم المدن الرئيسة للحجاز فأشهر مدن الجزيرة العربية وأشهر المدن الإسلامية هي مكة والمدينة وجدة والطائف، وتبوك وينبع البحر، وهناك مدن أخرى ولكن صغيرة هي (رابغ، وضبة والوجه، والليث، والتيّماء، والقنفذة وغيرها).

وتتميز تضاريس الحجاز بتنوعها وتقسم على ثلاثة أجزاء رئيسة:

١- الهضاب الداخلية والأودية الموسمية: تعد الأودية من أبرز الخصائص الجيومورفية، حيث تتجمع فيها مياه الأمطار لتشكل غدراناً مؤقتة فتصبح موارد مائية مهمة في وسط بيئة صحراوية.

٢- السهل الساحلي (تهامة) هو منخفض نسبياً ويكون حاراً رطباً.

٣- سلسلة جبال الروات: وتمتاز بارتفاعها المتفاوت وتكون حاجزاً طبيعياً^(١١).

ومن هنا يبرز النمط الجغرافي لموقع غدير خم الذي يقع ضمن نطاق صحراوي في وادٍ موسمي تتجمّع فيه المياه بعد سقوط الأمطار.

إن وجود هذه الموارد المائية الموسمية أسهمت في تكوين نقاط توقف طبيعية للقوافل، وهذا ما أعطاها بعداً استراتيجياً في شبكة الحركة الصحراوية.

رابعاً: الخصائص المناخية للمنطقة:

وفي رواية عن الإمام أحمد عن البراء بن عازب يقول فيها ((كنا مع رسول الله ﷺ فوقفنا بغدير خم فنودي فينا للصلاة الجماعة، وظلل لرسول الله عن الشمس اثناء صلاة بثوب علق بين شجرتين فصلى رسول الله صلاة الظهر، وكان ذلك اليوم شديد الحر، ويقول زيد بن أرقم فخرجنا الى رسول الله في يوم شديد الحر، وأن من يضع رداءه على رأسه ومنهم من يضعها على قدمه من شدة الرمضاء.

وبعد أن أكمل رسول الله ﷺ صلاته أمر أن يصنع له منبراً من أقتاب الإبل، ثم صعد المنبر متوسداً يد علي عليه السلام، يقول جابر في حديثه المتقدم: وأمر علياً فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم وهو متوسد يد علي بن أبي طالب عليه السلام وخطب ﷺ خطبته الآتية:

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

أيها الناس: قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله،

يقع مناخ الحجاز ضمن المناخ الصحراوي الحار الذي يتصف بارتفاع درجات الحرارة صيفاً والتفاوت الحراري بين الليل والنهار وعدم انتظام سقوط الأمطار وقلتها.

ونتيجة لاختلاف طبيعة أرض الحجاز ونظراً لامتداده من الجنوب إلى الشمال اختلف طقسه وتفاوتت درجات حرارته ورطوبته تفاوتاً كبيراً، فتشتد درجات الحرارة في السواحل وجبال تهامة، أما في الطود والطائف فتعتدل درجة الحرارة.

وتبرز أهمية الخصائص المناخية في أنماط انتقال السكان وحركتهم إذ ترتبط هذه الحركة بمواسم معينة من السنة، ولا سيما مواسم الحج، كما أن ارتفاع درجات الحرارة تجعل من مصادر المياه نقاط جذب للسكان، وهذا ما يفسر أهمية اختيار موضع الغدير لهذه الحادثة التاريخية^(١٢).

وإن وقت حادثة الغدير التي حدثت في السنة العاشرة للهجرة بعد حجة الوداع، أي في الثامن عشر من شهر ذي الحجة حيث كانت الأجواء شديدة الحرارة، وقد تتجاوز درجات الحرارة في تلك المدة ٤٠ درجة مئوية نهاراً^(١٣).

وإني أوشك ان أدعى فأجيب واني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

يردا علي الحوض، فسألت ذلك لهما ري، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

قالوا: نشهد إنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض إباطهما، وعرفه القوم أجمعون فقال:

قال أستم تشهدون أن لا اله الا الله أن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد.

قال: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه.

قال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين انفسهم؟

قالوا الله ورسوله أعلم.

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟

يقول ثلاث وفي رواية الإمام أحمد: أربع مرات.

قال: فإني فرطكم (الفرط المتقدم قومه إلى الماء على الحوض) وأنتم واردون على الحوض، وان عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟! ثم قال اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واحبب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب))^(١٤).

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تفلتوا، والآخر الأصغر عترتي، وأن اللطيف نبأني انهما لن يترفقا حتى

وفي وسط هذه الأجواء الحارة والظروف المناخية القاسية يصبح التوقف عند مورد مائي أمراً ضرورياً، لا خياراً تنظيمياً فقط وهذا ما يثبت أن المكان اختير بشكل دقيق ومدروس وبأمر إلهي، ولم يكن اختياراً اعتباطياً، فضلاً عن ذلك كان



أمرا الهيا.

• طريق مصر

• طريق المدينة

وهذا ما يجعل المنطقة عقدة مكانية وفق المفهوم الجغرافي الحديث، وتحتوي الحجاز على تضاريس تضم هضابا وسهولا وأودية موسمية، مما يخلق بيئة موسمية قائمة على موارد مائية مؤقتة، وهذه عناصر ضرورية في تحديد أشكال الاستقرار المؤقت ومسارات الحركة للقوافل والحجاج، ان اعلان حدث الغدير في نقطة قبل الافتراق مباشرة يضمن وصول الرسالة الى أكبر قدر من الجماعات قبل مغادرتها لمكة.

خامساً: الماء في البيئة الصحراوية وعلاقته باختيار غدير خم لبيعة الغدير:

في وسط الأجواء الصحراوية شديدة الحرارة، يمثل وجود الماء مركزاً للاستقرار المؤقت، ومركزاً مهماً في الحركة، لذلك فان اختيار موضع يتوافر فيه مورد مائي لإعلان حدث كبير ينسجم مع منطق البيئة الطبيعية. وهو ما يعزز الفرضية القائلة بوجود بعد مكاني في اختيار الموقع.

سادساً: العلاقة المكانية للحركة بين مكة والمدينة:

الأهمية الاستراتيجية للمكان:

إنّ الجمع بين عقدة الطرق التي تشكل فيها موضع غدير خم بالقرب من الجحفة نقطة لمفترق طرق، وهو ما يسمى بالعقدة المكانية، وبين مورد مائي وأرض منبسطة وتوقيت حركي مناسب يجعل هذا الموقع ذا أهمية استراتيجية واضحة، فضلاً عن تميز الموضوع بخصائص طبيعية تسمح بالتجمع البشري، إذ يتمتع الموضوع بمركزية وقربه من مفترق الطرق وطبيعة المجال المفتوح

لقد كان هناك انتظام نسبي في طرق الحج في القرن الأول الهجري، فعند عودة الحجاج من مكة المكرمة تسلك كل مجموعة طريقها نحو بلدها الأصلي، وتمثل منطقة الجحفة نقطة مركزية، يتفرع عندها إلى طرق مختلفة، ويمكن تصنيفها الى ما يأتي:

• طريق الشام

• طريق العراق



الجانبين السياسي وروحي بعد النبي محمد ﷺ.

ويظهر مما تقدم أن أبعاد واقعة غدير خم ليست مجرد واقعة سياسية أو جغرافية فحسب، بل تمتد لتشمل رمزية ثقافية وروحية ودينية لفهم مكانة القيادة والولاية في التاريخ الإسلامي، وقد أسهم موضوع اختيار المكان وما يمتلكه من خصائص مكانية في جعل الحدث واسع الانتشار والذكرى، أما من الجانب السياسي فترتبط الأهمية السياسية فيما قيل في خطبة النبي ﷺ، أما البعد الرمزي فيرتبط بكيفية تفاعل المجتمعات مع هذا المكان عبر الأجيال، مما يجعله جزءاً من ذاكرة الأمة وذات تأثير حضاري طويل الأمد.

الخاتمة:

توصلنا في هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات منها:

- إن مكان غدير خم يقع في بيئة جغرافية تمتاز بأهميتها الحركية الواضحة؛ لوقوعها على طريق الحج بين مكة والمدينة بالقرب من الجحفة، التي تمثل نقطة لمفترق الطرق والقوافل والحجاج، وهذا يعطيه أهمية اتصالية كبيرة إذ كان مكاناً لتجمع بشري كبير يساعد على انتشار الرسالة بشكل

المحيط به، وأن الحدث وقع في طريق العودة من حجة الوداع، وهو ما يتطابق مع التحليل المكاني لشبكات الحركة، وبذلك لا يظهر اختيار الموقع اختياراً عشوائياً، بل موقعٌ منسجمٌ مع منطق الجغرافية الطبيعية والبشرية للحجاز.

واقعة الغدير وتكوين المكان المقدس:

يعد حدث غدير خم حدثاً تاريخياً وسياسياً ودينياً، فبعد دراسة وتحليل المكان اتضح أن حدث الغدير قد حول المكان من مجرد معلم جيومورفولوجي إلى معلم ديني ذي دلالة حضارية وتاريخية عبر الزمن، وهو من أبرز الوقائع التاريخية التي ارتبطت بإعلان السلطة الدينية والسياسية، فتمت فيه مناقشة مسألة الولاية والخلافة في التاريخ الإسلامي، ففي هذه الواقعة أعلن رسول الله محمد ﷺ ولاية الإمام علي عليه السلام من بعده وقال كلمته ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) أمام الحجاج، وكان المراد منها إعلان السلطة والولاية على المجتمع بعد وفاته، ويعتبر هذا النص دلالة واضحة على تعيين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بوصفه خليفة من

أكبر بين أوساط الأمة، ولا سيما أن المنطقة تمتاز بوجود مورد مائي ومكان لتجمع المياه الموسمية في وسط بيئة صحراوية حارة، ما يجعله موضعاً مناسباً للتجمع البشري.

- إن هذا الحدث التاريخي الذي عنوانه إعلان الولاية للإمام علي عليه السلام ولياً وإماماً وخليفة للمسلمين أسهم في إعادة تعريف المكان، ليتحول من مكان طبيعي إلى مكان مقدس وفضاء روحي ورمز ديني، وقد أصبح ذكرى سنوية يحتفى بها في كل عام في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، ويؤدي فيه عبادات وأذكار خاصة، وتستحب فيها زيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

- وقد استنتجت الدراسة أن هناك علاقة بين المكان والحدث، وتكون العلاقة متبادلة، فتؤثر الجغرافية في صناعة الحدث، وقد مثل غدير خم أنموذجاً لتحوّل الموقع الطبيعي إلى مركز رمزي في ذاكرة الأمة الإسلامية.

- (١) الحموي، معجم البلدان: ٣٨٩.
- (٢) الكرباسي، ما هو الموقع الجغرافي لغدير خم: مقال منشور في عام ٢٠١٨.
- (٣) البلادي، معجم معالم الحجاز من (١-١٠): ١٥.
- (٤) الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني: ٣٨٩.
- (٥) البلادي، معالم مكة التاريخية والآثرية: ٩٦-٩٧.
- (٦) البلادي، معجم معالم الحجاز: ٥٧٣/٢.
- (٧) الكرباسي، الشيخ صالح. ما هو الموقع الجغرافي لغدير خم: مقال منشور في عام ٢٠١٨.
- (٨) عبد الهادي الفضلي، غدير خم دراسة تاريخية، مجلة المنهاج: العدد ٢٥: ٢٣٧.
- (٩) الكرباسي، ما هو الموقع الجغرافي لغدير خم: مقال منشور في عام ٢٠١٨.
- (١٠) صديق، القرية الحجازية من خلال كتابات الجغرافيين في العصر العباسي، مجلة قطاع للدراسات الإنسانية: العدد ٢٧/ ١١٧٥).
- (١١) البلادي، معجم معالم الحجاز من (١-١٠): ١٦.
- (١٢) المصدر نفسه.
- (١٣) عبد الهادي الفضلي، غدير خم دراسة تاريخية، مجلة المنهاج: العدد ٢٥: ٢٣٧.
- (١٤) المصدر نفسه: العدد ٢٥: ٢٤٨-٢٥٠.



التسلسل التاريخي للأحداث

بعد انتهاء حجة الوداع حتى إعلان وصاية
أمير المؤمنين علي عليه السلام في غدير خم



تتناول هذه المقالة المهمة التسلسل التاريخي للأحداث التي
حصلت بعد انتهاء حجة الوداع للنبي (ﷺ)، حتى إعلان وصاية
علي أمير المؤمنين عليه السلام في منطقة غدير خم، أمام مسمع
ومرأى جمع غفير من الناس.



الدكتورة فاطمة أبو حمزة
أم أمير كبير (بلى تكيك) طهران



● الثالث عشر من ذي الحجة

وفقا للروايات التاريخية، أقام رسول الله ﷺ في منى ليلة الثالث عشر من ذي الحجة، وصلى صلاة الفجر في ذلك اليوم، ورمى الجمرات الثلاث قبل الظهر، ثم استعد للمغادرة، وفي آخر لحظات وجوده المبارك في منى، أثناء ركوبه على الخيل، ذكر الناس مرة أخرى بمحبتهم لآل بيت النبي.

في هذا الصدد، ورد في أمالي الطوسي: ((أخبرنا محمد بن محمد قال أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسين البصير قال حدثنا أحمد بن نصر بن سعيد الباهلي قال حدثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي قال حدثنا عبد الله بن حماد عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه ﷺ قال: لما قضى رسول الله ﷺ مناسكهُ من حجة الوداع، ركب راحلته وأنشأ يقول: لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً. فقام إليه أبو ذر الغفاري (رحمه الله) فقال: يا رسول الله وما الإسلام فقال ﷺ: الإسلام عريان لباسه التقوى وزينته الحياء وملاكه الورع وجماله الدين وثمره العمل الصالح ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت))^(١).

لذلك، بعد أداء مناسك الحج، شرح النبي ﷺ أساس الإسلام بأنه حبه وحب أهل بيته.

قبل ظهر يوم الثالث عشر من ذي الحجة، انطلق النبي ﷺ من منى إلى مكة المكرمة مع قافلة كبيرة من الحجاج، ووصلوا إلى وادي أبطح^(٢)، وبينما كان النبي ﷺ على قمة أبطح المطل على مكة، أنزلت عليه الآيات الأربع الأولى من سورة العنكبوت المباركة، التي كانت تمهيدا لبرنامج الغدير: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٤].

فقال رسول الله ﷺ: ((يا جبرئيل وما هذه الفتنة؟ فقال يا



مُحَمَّدٌ إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ إِنِّي مَا أَرْسَلْتُ نَبِيًّا قَبْلَكَ إِلَّا أَمْرُهُ
عند انقضاء أجله أن يستخلف على أمته من بعده من يقوم مقامه
ويحييهم سنته وأحكامه فالمطيعون لله فيما يأمرهم به رسول الله هم
الصادقون والمخالفون على أمره الكاذبون وقد دنا يا محمد مصيرك
إلى ربك وجنته وهو يأمرُك أن تنصب لأمتك من بعدك علي بن أبي
طالب عليه السلام وتعهد إليه فهو الخليفة القائم برعيتك وأمتك إن أطاعوه
وإن عصوه وسيفعلون ذلك وهي الفتنة التي تلوث الآي فيها وإن الله
عز وجل يأمرُك أن تعلمه جميع ما علمك وتستحفظه جميع ما حفظك
واستودعك فإنه الأمين المؤمن يا محمد إني اخترتك من عبادي نبيا
واخترته لك وصيا ^(٣).

((لم يذهب النبي ﷺ إلى مكة بعد عودته من منى، بل استقر في
خيام الأبطح)) ^(٤).

● الرابع عشر من ذي الحجة:

بعد أداء مناسك الحج، توقف النبي ﷺ يوماً واحداً، وأمر بلالاً أن
يعلن أن على جميع الناس، باستثناء ذوي الإعاقة، التوجه إلى غدير خم ^(٥).
كان من الغريب على الناس أن النبي ﷺ لم يتوقف لأكثر من يوم
واحد ليتمكن الناس من لقائه وعرض أسئلتهم.

● إعطاء لقب أمير المؤمنين للإمام علي عليه السلام:

في اليوم الرابع عشر، نزل جبريل عليه السلام وأعطى لقب (أمير المؤمنين)
للإمام علي عليه السلام خاصة.

من الواضح أن هذا الأمر الإلهي كان تمهيداً للإعلان الرسمي عن
الخلافة المباشرة وولاية الإمام علي عليه السلام، مع أن رسول الله ﷺ كان شديد
الخوف على الإسلام من المنافقين، حتى أن الله أنزل الآية السادسة



من سورة الكهف بشأن خوف النبي ﷺ، وأمر ﷺ شيوخ الصحابة بالذهاب إلى حضرة علي عليه السلام وتحيته بلقب (أمير المؤمنين)، فجاء شيوخ الصحابة إلى حضرة علي عليه السلام وحيوه بلقب (السلام عليك يا أمير المؤمنين)، بهذا الأمر من النبي ﷺ، طُلب من الصحابة الإقرار بأن علياً عليه السلام أمير المؤمنين، كان من الصحابة الذين اعترضوا على الأمر أبو بكر وعمر فقط، وسألا النبي ﷺ هل هذا أمر الله؟ فأجاب رسول الله ﷺ أنه أمر الله تعالى^(٦).

● تسليم ودائع الأنبياء وميراثهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

في اليوم الرابع عشر من ذي الحجة، نزل جبريل عليه السلام مرة أخرى، وجاء بأمر من الله بتسليم ميراث الأنبياء وكتبهم، وعلمهم، وحكمتهم، واسم الله الأعظم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ((فدعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يوماً فخلا به يوم ذلك وليلته واستودعه العلم والحكمة التي آتاه إياها وعرفه ما قال جبرئيل عليه السلام))^(٧).

● الكشف عن سرّ الولاية

استمر اللقاء الخاص بين النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وقتاً طويلاً، وفي ذلك اليوم كان دور عائشة بين زوجات النبي، ذهبت عائشة إلى أمير المؤمنين عليه السلام واشتكت إليه من أنه منع النبي ﷺ من القدوم إليها، فأجابها النبي ﷺ قائلاً: "لا ينبغي أن يمنعني من علي"، وذكرها بأن الحق دائماً لأمير المؤمنين عليه السلام حتى الدخول على النبي ﷺ عند بركة الكوثر.

وقد سألت عائشة عن سبب طول اللقاء وأُحِيت كثيراً، فأمرها النبي ﷺ بكتان السر، فوعده، فقال لها النبي ﷺ: بأمر من الله، خليفتي هو أمير المؤمنين، وسأعلن هذا الخبر قريباً، ولكن لا تُفشيهِ حتى يُعلن جهراً.

ولكن خلافا للوعد الذي قطعته عائشة للنبي ﷺ، أخبرت حفصة وهما أخبرتآ آباءهما، فنزلت الآيات الثلاث الأولى من سورة التحريم على رسول الله ﷺ فأخبره بعمل هاتين المرأتين^(٨).

● توقيع اتفاقية الصحيفة الملعونة في الكعبة

في اليوم الرابع عشر نفسه، دخل المنافقون الكعبة وجلسوا على الحجر الأحمر بين عموديهما، وأقسموا شفهاً أنهم سيمنعون أمير المؤمنين ﷺ من تولي القيادة ما داموا أحياء، ثم كتب أبو عبيدة الجراح هذا القسم، وختمه الحلفاء، واختير أبو عبيدة الجراح أميناً على الجماعة ومعاقباً للمخالفين، فأعطيت له الوثيقة، فأخفاها تحت الأرض في الكعبة، وقد ورد في كتاب الكافي ما يأتي بخصوص هذه الحادثة: ((عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَرِيرِيِّ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْحَصِيرَةِ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي الْكَعْبَةِ فَصَلَّى عَلَى الرَّخَامَةِ الْحُمْرَاءِ بَيْنَ الْعُمُودَيْنِ فَقَالَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَعَاقدُ الْقَوْمُ إِنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ قُتِلَ أَلَا يَرُدُّوْا هَذَا الْأَمْرَ فِي أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَبَدًا قَالَ قُلْتُ وَمَنْ كَانَ قَالَ كَانَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَسَلْمُ بْنُ الْحَبِيبَةِ))^(٩).

أخبر الله نبيه بهذه المؤامرة، فأنزل الله في هذا الشأن الآية ٢٥ من سورة الحج ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ والآية ١٠ من سورة المجادلة ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١٠).

● استعان حلفاء الصحيفة الملعونة ببني أمية:

استعان حلفاء الصحيفة الملعونة بالأمويين في اغتصاب الخلافة، وفي اليوم نفسه، الرابع عشر من ذي الحجة، عقدوا اجتماعاً حضره: حلفاء الصحيفة الملعونة وعثمان ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن أبي العاص وسعد بن أبي وقاص ومغيرة بن شعبة وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري.

في ذلك الاجتماع، طلب حلفاء الصحيفة الملعونة، حظر الخمس على أهل البيت وخلافة أبي بكر، وافق بنو أمية على حظر الخمس على أهل البيت، لكنهم عارضوا خلافة أبي بكر، ووافقوا على مبدأ اغتصاب الخلافة.

وقد ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) هذه الحادثة: ((وبهذا الإسناد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [محمد: ٢٥] فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِيمَانِ فِي تَرْكِ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] قال نزلت والله فيهما وفي أتباعهما وهو قول الله عز وجل الذي نزل به جبرئيل (عليه السلام) على مُحَمَّدٍ (عليه السلام) "ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله" في علي (عليه السلام) "سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ" قال دعوا بني أمية إلى ميثاقهم ألا يُصَيِّرُوا الْأَمْرَ فِينَا بَعْدَ النَّبِيِّ (عليه السلام) وَلَا يُعْطُونَا مِنَ الْخُمْسِ شَيْئًا وَقَالُوا إِنْ أُعْطِينَاهُمْ إِيَّاهُ لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى شَيْءٍ وَلَمْ يُبَالُوا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِيهِمْ فَقَالُوا سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ الَّذِي دَعَوْتُنَا إِلَيْهِ وَهُوَ الْخُمْسُ أَلَا نُعْطِيهِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَقَوْلُهُ "كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ" وَالَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ مَا افْتَرَضَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَكَانَ مَعَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ وَكَانَ كَاتِبُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ "أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ" (١١).

وأخبر الله نبيه بهذا العهد والفتنة بإنزاله الآيتين ٧٩ و ٨٠ من سورة الزخرف المباركة ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (١٢).



وبعد هذه الأحداث، أتى النبي ﷺ إلى الكعبة، ووقف عند بابها، ووضع يده على مقبضه، وألقى خطبة مفصلة عن أمته، وعند الفجر، قبل أذانه انطلق إلى غدير، وانطلقت قافلة الحجاج، التي قُدِّرَ عددها بمائة وعشرين ألفاً، إلى المدينة المنورة.

● ١٥ و ١٦ و ١٧ من ذي الحجة:

وفي الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، نزل جبريل ﷺ وجاء بأمر إعلان الوصاية، لكنه لم يأت بضمان الحماية أو العصمة، وكان النبي ﷺ يعلم أن هذا الأمر ليس عاجلاً.

في الخامس عشر، نزل جبريل ﷺ في مخيم "الضجنان"، وجاء بأمر إعلان الوصاية، وفي السادس عشر في المخيم الذي توقفت فيه القافلة، نزل جبريل ﷺ وجاء بالآيات من ٩٢ إلى ٩٥ من سورة الحجر ﴿فَوَرَّبُّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، مُشيراً إلى أولى علامات التأييد الإلهي لإعلان هذا الأمر للنبي ﷺ (١٣).

وفي اليوم السابع عشر، في وادي القديد، دعا النبي ﷺ لأمير المؤمنين ﷺ في آخر صلاته.

وفي تفسير العياشي لهذه الحادثة، ما نُقل عن الإمام الصادق ﷺ: ((عن عمار بن سُويد عن أبي عبد الله ﷺ قال: دعا رسولُ الله ﷺ لأمير المؤمنين ﷺ في آخر صلاته رافعا بها صوته يُسمعُ الناسُ يَقُولُ "اللَّهُمَّ هبْ لِعَلِيٍّ الْمُوَدَّةَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْهَيْبَةَ وَالْعِظَمَةَ فِي صُدُورِ الْمُنَافِقِينَ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" إِلَى قَوْلِهِ "وَوَدَّ" قَالَ وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ الْوُدُّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ "وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا" بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ رُمِعُ وَاللَّهِ لَصَاعٌ مِنْ تَمَرٍ فِي شَنْبَالٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا سَأَلَ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ، أَفَلَا سَأَلَ مَلِكًا يَعْضُدُّهُ، أَوْ كُنْزًا يَسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى فَاقَتِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ هُودٍ، أَوْهَا "فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ" (١٤).

● الثامن عشر من ذي الحجة:

في ليلة الثامن عشر من ذي الحجة، نزل جبريل عليه السلام وأنزل الآية ٦٧ من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

صلّت القافلة صلاة الفجر يوم الاثنين، الثامن عشر من ذي الحجة، وانطلقت إلى غدير خم، فدعا النبي ﷺ أمير المؤمنين وأخبره بنزول الآية.

وقبل الظهر بساعة، وصلت القافلة إلى غدير خم، وهي بركة كبيرة تحيط بها أشجار معمرة، فنزلت القوافل هناك بأمر من النبي ﷺ، أمر النبي ﷺ المجموعة التي سبقت بالعودة، وأعطى تعليمات محددة بشأن عودة أبي بكر وعمر إلى غدير خم.

يروى احتجاج الطبرسي تلك اللحظات المصيرية: ((فأمر رسول الله عندما جاءته العصمة مُنادياً يُنادي في النَّاس بالصَّلَاة جامعة ويُردُّ من تقدّم منهم ويُحبس من تأخّر، وتنحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل عن الله عز وجلّ وكان في الموضع سلماً فأمر رسول الله ﷺ أن يُقم ما تحتهن ويُصب له حجارة كهية المنبر ليُشرف على النَّاس فتراجع النَّاس واحبّسوا آخرهم في ذلك المكان لا يزالون فقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار))^(١٥).

وأبلغ رسول الله ﷺ في نهاية المطاف وصاية أمير المؤمنين وولايته بهذه الطريقة، حتى يكتمل دين الإسلام وتكتمل البركات على الأمة المحمدية.

((وأمرهم أن يجتمعوا إليه ودعا علياً عليه السلام ورفع رسول الله ﷺ يده عليّ اليسرى بيده اليمنى ورفع صوته بالولاء لعليّ عليه السلام على النَّاس أجمعين وفرض طاعته عليهم وأمرهم أن لا يتخلّفوا عليه بعده وخبرهم أن ذلك عن أمر الله عز وجلّ وقال لهم ألسنٌ أولى بالمؤمنين من أنفسهم



قالوا بلى يا رسول الله، قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ثم أمر الناس أن يبايعوه فبايعه الناس جميعاً، ولم يتكلم منهم أحد، وقد كان أبو بكر وعمر قد تقدما إلى الجحفة فبعث وردّهما ثم قال هُما النبي ﷺ متّهما: يا ابن أبي قحافة ويا عمر بايعا علياً بالولاية من بعدي فقالا: أمر من الله ومن رسوله؟ فقال: وهل يكون مثل هذا عن غير أمر الله، نعم أمر من الله ومن رسوله فقال وبايعا ثم انصرفا)) (١٦).

-
- (١) الشيخ الطوسي، الأمالي: ٨٤.
 - (٢) الشيخ الطوسي، تهذيب الاحكام: ٢٧٣ / ٥.
 - (٣) المجلسي، بحار الأنوار: ٩٦ / ٢٨.
 - (٤) الشيخ الكليني، الكافي: ٤ / ٢٤٦ / ٢٤٨.
 - (٥) المجلسي، بحار الأنوار: ١١١ / ٣٧.
 - (٦) المصدر نفسه.
 - (٧) المصدر نفسه: ٩٦ / ٢٨.
 - (٨) المصدر نفسه، ٩٦ - ٩٧ / ٢٨.
 - (٩) الشيخ الكليني، الكافي: ٤ / ٥٤٥.
 - (١٠) المجلسي، بحار الأنوار: ١٦٨ / ٣٦.
 - (١١) الشيخ الكليني، الكافي: ١ / ٤٢٠ - ٤٢١.
 - (١٢) المجلسي، بحار الأنوار: ١٦٣ / ٣٠.
 - (١٣) المصدر نفسه: ٩٨ / ٢٨.
 - (١٤) العياشي، تفسير العياشي: ٢ / ١٤٢، المجلسي، بحار الأنوار: ٣٥٣ - ٣٥٢ / ٣٥.
 - (١٥) الطبرسي، الإحتجاج على أهل اللجاج: ١ / ٥٨ - ٥٧.
 - (١٦) المجلسي، بحار الأنوار: ٩٨ - ٩٩ / ٢٨.

واقعة الغدير

دراسة تاريخية تحليلية للواقعة

تُمثّل واقعة الغدير إحدى أبرز المحطات المفصلية في التأريخ الإسلامي، لما انطوت عليه من أبعادٍ دينيةٍ وعقديةٍ وسياسيةٍ، تركت أثرًا بالغًا في مسار الأمة الإسلامية، وأن قراءة هذه الواقعة لا يمكن أن تقتصر على بعدها الوعظي أو الاحتفالي، بل تقتضي دراسةً تستند إلى مصادر الحديث والتأريخ والسير، لدى مختلف المدارس الإسلامية، إذ رُويت حادثة الغدير في عددٍ كبيرٍ من المصنفات، وتناقلتها الأجيال بوصفها حدثًا ثابتًا في الوعي الإسلامي المبكر.



AL-GHADEER



م. د فاطمة حمدان عبادي
جامعة الكوفة / كلية الآداب



● أولاً: التعريف بالمصطلحات

١- الغدير: يُعرّف الغدير في «مختار الصحاح» بأنه قطعة من الماء التي يغادرها السيل، ويُستخدم المصطلح بصيغة «فعل» للدلالة على معنى مفاعل من «غادره» أو مفعّل من «اغدره»، بمعنى تركه، كما يُشير إلى أنه قد يُستخدم بصيغة «فعل» بمعنى فاعل، حيث يُغدر بأهله، أي: ينقطع عند شدة الحاجة إليه. والجمع من الكلمة هو «غُدران» و«غُدُر»^(١).

٢- غدير خم: يرتبط هذا المصطلح ارتباطاً وثيقاً بموقع بلدة الجحفة، التي تقع بين مكة والمدينة، بمحاذاة ذي الحليفة من الجهة الشامية، بالقرب من رابع بين بدر وخليص، سُميت بهذا الاسم، لأن السيل اجتحف بأهلها، أي: أخذهم، وكان يُعرف سابقاً باسم «مهيعة»، كما يُعرف ذلك السيل بـ «الحُجاف»، ويُشير «مجمع البحرين» إلى أنّ غدير خم هو موضع بالجحفة ذو وباء شديد، ويُذكر في القاموس أنه موضع يبعد ثلاثة أميال عن الجحفة بين الحرمين، أو أنّ خم يُشير إلى غيضة هناك تحتوي على غدير ماء^(٢).

وفي «معجم ما استعجم»: وغدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق، وهذا الغدير تصب فيه عين.. وبين الغدير والعين مسجد النبي ﷺ، لكن المسعودي ذكر في «التبعية والإشراف»: غدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة^(٣).

● ثانياً: تفاصيل الواقعة

بعد إتمام النبي محمد ﷺ لمناسك حجته المعروفة بحجة الوداع، وبدء رحلته من مكة المكرمة نحو المدينة المنورة، سار برفقة الآلاف من صحابته عبر صحراء الحجاز القاسية لمدة ثلاثة أيام، وبعد مضي خمس ساعات من نهار اليوم الثالث، وصل إلى موقع يُعرف بـ «كرع الغميم» بالقرب من الجحفة (٤)، عند هذه النقطة، نزل عليه الأمر الإلهي القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)،

في ذلك الحين، استند إلى بعض الأشجار الموجودة في الموقع، إذ أقام منبراً من الأحجار ليُلقي خطبته، ومن ضمن ما قاله في تلك الخطبة، بحسب ما ورد في العديد من المصادر الحديثية: «ألست أولى بكم من أمهاتكم؟»، فأجابه الصحابة: «بلى يا رسول الله». ثم تكرر السؤال ليُجيبوا بالمثل، حتى قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، مُعلنًا عن تعيين ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ولياً للمسلمين من بعده، وقد أيد هذه البيعة كل من عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق، وكانت هذه الواقعة بتاريخ ١٨ ذي الحجة سنة ١٠ هجرية^(٥).

وبعد إعلان البيعة نزلت الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فضلاً عن ذلك فقد نزلت آية أخرى للولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وقد بيّن النبي ﷺ لأمته ولاية الإمام علي عليه السلام، كونها امتداداً لولاية الله وولايته وضماناً لمن أراد أن يحافظ على طاعته والمحافظة على الهداية وعدم الوقوع في الضلال، قال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وبعد انتهاء النبي ﷺ من خطبته ضج الناس قائلين: «نعم، سمعنا وأطعنا لأمر الله ورسوله بقلوبنا وأنفسنا وأبدينا» ثم إنهم ازدحموا على النبي وأمير المؤمنين عليه السلام، وتسابقوا لإعطاء البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهنا قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين»، ومن الواضح أن النبي ﷺ لم يفرح في كل انتصاراته وفتوحاته كما فرح في يوم الغدير، حيث أمر المسلمين بتهنئة علي عليه السلام لمقام الإمامة وقال: «ان الله خصني بالنبوة وأهل بيتي بالإمامة»، وقد قال عمر بن الخطاب لأمر المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم بعد بيعته له: «بخ بخ لك يا علي! هنيئاً لك يا أبا الحسن! فقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»^(٦).

ثالثاً: أهمية الواقعة

تميزت واقعة الغدير بميزتين رئيسيتين: الأولى منهما هي الميزة الخاصة، التي تتعلق بمضمون الخطبة التي ألقاها النبي محمد ﷺ بين المسلمين قبيل وفاته بشهرين في هذه الخطبة، قدم وصيته للأمة حول الأمور المتعلقة بهم بعد وفاته، معبراً عن مخاوفه عليهم من الضلالة والهلاك، وقد أكد النبي في هذا السياق على ولاءه وولاء أهل بيته عليهم، مشيراً إلى المكانة الفريدة لأسرته، أما الميزة الثانية فهي الميزة الإعلامية، إذ أجاد النبي ﷺ في تنظيم هذا الحدث من حيث الزمان والمكان والظروف، مما جعل الواقعة ووقائعها تسجل في الذاكرة الجماعية للمسلمين عبر التاريخ، فقد وردت نصوص متعددة تدل على مكانة أهل بيته ﷺ، منها حديث الكساء الذي جمع فيه الإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء والحسين، بالإضافة إلى نزول آية التطهير في السنة الخامسة للهجرة، هذه العناصر أسهمت في تعزيز مكانة هذه الواقعة في التراث الإسلامي^(٧).

● رابعاً: أهداف النبي محمد ﷺ من خطبة الغدير

يمكن تلخيص هذه الأهداف بجملته من النقاط أهمها^(٨):

١- ضمان استمرار خط النبوة: التأكيد على عدم ضياع ثمار جهود النبي عبر ثلاثة وعشرين عاماً في إبلاغ الرسالة الإلهية وبناء الأمة، عن طريق تعيين من يتولى حمل الأمانة وإدامة المسيرة النبوية.

٢- توضيح مسؤولية الأمة: إبلاغ الأمة بأن مسؤولية حفظ الإسلام وأمنها تقع على عاتق خلفاء النبوة الذين اختارهم الله، الذين يمتلكون الكفاءة اللازمة لأداء مهمتهم.

٣- التعيين الرسمي للخليفة: التأكيد على تعيين الخليفة بطريقة رسمية، وهو أمر يتماشى مع سنة الله في أنبيائه وسنة الأمم المتحضرة في اختيار قادتها.

٤- رسم المنهج السياسي للمسلمين: تحديد أسس المنهج السياسي الذي ينبغي أن يسير عليه المسلمون حتى يوم القيامة.

٥- إتمام الحجة على المخالفين: تقديم الأدلة والبراهين على صحة موقف النبي ﷺ، ما يُعتبر حجة على المخالفين والمقصرين.

● خامساً: أبعاد الواقعة على الأمة الإسلامية

البعد الخاص بالشيعية:

يرتبط هذا البعد باعتقاد الشيعة بأن واقعة الغدير تمثل نصّاً صريحاً بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة من قبل النبي ﷺ، وقد ورد أن النبي حين سُئِلَ: أهذا الإعلان منك أم من الله؟ أجاب: «من الله ورسوله»، بما يدل على طابعه الإلهي، لذا تحظى الواقعة بمكانة محورية في الفكر الشيعي، إذ تُعدّ من أبرز الأدلة على أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة المباشرة، وقد استمرّ البحث والاستدلال حولها في المؤلفات الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى اليوم.

البعد الإسلامي المشترك:

أمّا البعد الآخر فهو لا يقلّ أهمية، ويتجاوز الإطار المذهبي ليشكّل مساحة مشتركة بين المسلمين، فحتى مع افتراض عدم إرادة التصريح بالخلافة المباشرة، فإنّ الحد الأدنى الذي تثبته الواقعة هو تأكيد مكانة أمير المؤمنين عليه السلام وضرورة الارتباط به وبعترته، ويتعرّز هذا المعنى باقتران العترة بالقرآن في حديث الثقلين وغيره، بما يكشف عن سعي نبوي لترسيخ أنموذج الإنسان الكامل الذي يجسّد القيم الإسلامية في أبهى صورها، ليبقى معياراً تربوياً وأخلاقياً للأجيال المتعاقبة^(٩).

● سادساً: قصائد الشعراء في الغدير (نماذج مختارة)^(١٠)

١- حسان بن ثابت:

يقول:

أَبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهَجَّتِي	وَكُلَّ بَطِيءٍ فِي الْهُدَى وَمُسَارِعِ
أَيُّهُبُ مَدْحِي فِي الْمُجِبِّينَ ضَائِعاً	وَمَا الْمَدْحُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ بِضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعاً	فَدَتَكَ نَفُوسُ الْقَوْمِ يَا خَيْرَ رَاكِعِ
بِخَاتَمِكَ الْمَيْمُونِ يَا خَيْرَ سَيِّدِ	وَيَا خَيْرَ شَارِئٍ يَا خَيْرَ بَائِعِ
فَأَنْزَلَ فِيكَ اللَّهُ خَيْرَ وِلَايَةٍ	وَبَيْنَهَا فِي مُحْكَمَاتِ الشَّرَائِعِ

كما كان له قصيدة أخرى في الغدير وهي^(١١):

يَنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ	بِخَمٍ وَاسْمِعْ بِالرَّسُولِ مَنَادِيَا
وَقَدْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ	بَأَنَّكَ مَعْصُومٌ فَلَا تَكْ وَانِيَا
وَبَلَّغَهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ رَهْمَ	إِلَيْكَ وَلَا تَخْشَى هُنَاكَ الْأَعَادِيَا
فَقَامَ بِهِ إِذْ ذَاكَ رَافِعَ كَفَّهُ	بَكَفِّ عَلِيٍّ مَعْلَنَ الصَّوْتِ عَالِيَا
فَقَالَ: فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ	فَقَالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهَكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ نَبِينَا	وَلَمْ تَلَقْ مِنَّا فِي الْوَلَايَةِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ فَإِنَّنِي	رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيَّهُ	فَكُونُوا لَهُ أَتْبَاعَ صَدَقِ مَوَالِيَا
هُنَاكَ دَعَا اللَّهُمَّ وَالْ وَلِيَّهُ	وَكُنْ لِلَّذِي عَادَا عَلِيّاً مُعَادِيَا
فِيَا رَبِّ انصُرْ نَاصِرِيهِ لِنَصْرِهِمْ	إِمَامَ هُدًى كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدِّيَا جِيَا

٢- قيس بن سعد الأنصاري:

يقول:

قلت لما بغى العدو علينا	حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصرة	بالأمس والحديث طويل
وعلي إمامنا وإمام	لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه	فهذا مولاه خطب جليل
إنما قاله النبي على الأمة	حتى ما فيه قال وقيل

٣- محمد بن علي العلوي:

يقول:

وجدي وزير المصطفى وابن عمه	علي شهاب الحرب في كل ملحمة
أليس بيدركان أول قاحمة	يطير بحد السيف هام المقحمة
وأول من صلي ووحد ربه	وأفضل زوار الحطيم وزمزم
وصاحب يوم الدوح إذ قام أحمد	فنادى برفع الصوت لا بتهمهم
جعلتك مني يا علي ؟ بمنزل	كهارون من موسى النجيب المكلم
فصلي عليه الله ما ذر شارق	وأوفت حجور البيت أركب محرم

٤-دعبل بن علي الخزاعي:

يقول:

هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه	ومحكمه بالزور والشبهات
ولم تك إلا محنة كشفتهم	بدعوى ضلال من هن وهنات
تراث بلا قربى وملك بلا هدى	وحكم بلا شورى بغير هداة
رزايا أرتنا خضرة الافق حمرة	وردت اجاجا شعم كل فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم	على الناس إلا بيعة الفلتات
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة	بدعوى تراث في الضلال نتات
ولو قلدوا الموصى إليه أمورهما	لزمت بمأمون على العثرات
أخي خاتم الرسل المصطفى من القذى	ومفترس الابطال في الغمرات
فان جحدوا كان الغدير شهيد	وبدر واحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن تتلى بفضلـه	وإشاره بالقوت في اللزبات
وعز خلال أدركته بسبقها	مناقـب كانت فيه مؤتفات

يمكن القول: إن واقعة الغدير تحمل بعداً دينياً عميقاً، إذ تعيد التأكيد على مفاهيم الولاء والقيادة والوفاء بالقيم الإسلامية، فضلاً عن أنها تتضمن بعداً اجتماعياً، فهي تعزز الوحدة بين أفراد المجتمع، وتوثق علاقات التضامن والاحترام المتبادل، وأن الاحتفال فيها فرصة لتجديد الذكريات التاريخية والتأكيد على القيم الأساسية، التي قامت عليها المجتمعات الإسلامية.

وتظل كونها مناسبة ذات أهمية كبيرة في التأريخ الإسلامي، إذ تجمع بين المعاني الدينية والأبعاد السياسية والاجتماعية وغيرها .

دلیل التفریح بر العزیر علیہ

ایمالمؤمنین صلوات اللہ علیہ

[illegible]

اصول پر

بَكِيَّةٌ فِي اللَّيَالِي عَمَّ نَوَائِدُ الْحُجَّيْنِ نَارُ فَوْادِ الدُّيَا هَـ وَمَحْجَمُ عَيْنِ نَسْرٍ
أَبْزَعَادِهِ أَنْكَارُ عَيْلٍ وَهُوَ بَيْنَ عَيْلٍ أَلْبُونِ فِي صَلَواتِهِ عَلَيْهِ رَحْمَتُهُمْ
وَسَعَةِ الرَّايِدِ فِي قُبْعَةِ الْوَهْلِ

قلت لما بقي العذر عليا كحسبنا وياهم الركب
حسبنا الذي في الجور بالاسر الجدي يطول
وعلى ملنا واما لسوانا في التزويل
يوم نال البحر في شؤله فهدأ سركه خطب جميل
انما الذي على امره حتم فانك وقيل
فصل من الوصايا المبهمة

إذا وصي رجل بالخارج حين موته لم يكن له ذم ولا عليه شيء من ما خرج
 خلقه ولا الله شريك في ما خلقه الا ان كان من ذم الناس من ذم الله فليس عليه
 نفعه في ذم الناس خلقنا السبعة خلقه خلقنا العله سبعة خلقنا
 المصنوع عظاما وادنا العظام الحماة ان شاء الله خلقنا الجن وبنات الله
 احسن الخلقين خلق الله سبحانه الانسان من سبعة اشياء والشيء احدث
 من سبعة وهو الدقيق واذا وصي بالخارج حين موته لم يكن له ذم ولا عليه شيء من ما خرج
 سبعه ما قاله الله عز وجل الحاسبة ابواب على ابواب من جرم فهو مقصود فالخارج
 واحد وسبعة وهو السبع واذا وصي به من ماله لم يدر في الوصية
 الثمنا قال تعالى يا اصدقات للفقراء والمساكين والعالمين عليها والموت
 قدوم في الوفاة والغارس في سبيل الله وان السيلان هم غايبة اصابت

صورة الورقة الأخيرة من مخطوطة رسالة «دليل النفس بخبر الغدير على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام»

- ١- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٦٣/٣.
- ٢- فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ١/ ٢٧٢.
- ٣- محمد جواد الشبيري، الغدير في حديث العترة الطاهرة: ٣٦.
- ٤- الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، عيد الغدير الأغر: ٦.
- ٥- نزار آل سنبل القطيفي، حديث الغدير برواية ابن كثير: ٢٣- ٢٤.
- ٦- شبكة المعارف الإسلامية الثقافية، عظمة الغدير: ١/ ٨٢.
- ٧- محمد باقر السيستاني، واقعة الغدير ثبوتها ودلائلها: ١/ ٢٦- ١٨.
- ٨- شبكة المعارف الإسلامية، ما هي أبعاد واقعة الغدير <https://almaaref.org>.
- ٩- المصدر نفسه.
- ١٠- عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب ثمرات الأسفار إلى الأقطار: ٣/ ٨٠.
- ١٥- علي يعقوب سويف القطيفي، الغدير في مصادر الفريقين: ٥٤٤ و ٥٤٦ و ٥٥٠.

ماذا يمثل لكم يوم الغدير

يُمثل يوم الغدير (١٨ ذو الحجة) لدى المسلمين، لا سيما الشيعة الإمامية، يوم التتويج للرسالة النبوية، وتنصيبًا إلهيًا للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة ووليًا للمسلمين بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وكانت لنا جولة مع المفكرين والأساتذة والشخصيات العلمية والدينية عن سؤال واحد (ماذا يُمثل لكم يوم الغدير)، فأجابوا بالآتي :



يوم الغدير هو يوم الحفاظ على الدين الخاتم و الرسالة الإسلامية الخالدة ونهج الرسول الاعظم ﷺ، هو يوم تعيين من سوف يتولى إدارة الدولة الإسلامية بعد رحيل رسول الله ﷺ عن هذه الدنيا، وتعيين المرجع السياسي و الروحي و الفقهي والحضاري لهذه الأمة، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام الذي صنع على عين الله و رسوله، فكان الامتداد الطبيعي لرسول الله روعي فده.

المفكر الجزائري د. يحيى أبو زكريا



صحفي وباحث
وكاتب جزائري،
رئيس جمعية حوار
الثقافات في السويد.

في اعتقادي، أن يوم الغدير هو اللحظة الفارقة في تاريخ الإسلام، فارقة من حيث أنها الاختبار الأعظم للجماعة المسلمة، فيما لو كانت النبوة قد رسخت إلى الحد الذي تبدو فيه الإمامة جواباً على نهاية عصر التنزيل وبداية عصر التأويل، أم أن هناك من رأى في رحيل صاحب الدعوة ﷺ تحيراً من كل التزام نبوي؟ الغدير هو المحطة التي التأم فيها التأويل بالتنزيل، الإمامة بالنبوة، الماضي بالمستقبل. ولأن الغدير هو لحظة تنصيب علي عليه السلام إماماً على أمة لم تُنه بعد مهمتها التاريخية، لم يكن بالإمكان طي هذه المرحلة من دون رزية، فالغدير هو عنوان ذاكرة أمة، وعنوان مستقبلها، حيث المستقبل اما ان يكون علوياً أو لا يكون!

المفكر المغربي د. ادريس هاني



باحث ومفكر
مغربي، نظر لمشروع
التبني الحضاري والتجديد
الجذري.



تمثّل حادثة الغدير محطة مفصلية في التاريخ الإسلامي، إذ تجسّد إعلاناً واضحاً لمكانة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودوره القيادي في الأمة، كما تعبّر عن مبدأ الولاية بوصفه امتداداً للهداية النبوية، وتؤكد وحدة الرسالة والقيادة في حفظ الدين، لذلك ظلّت الغدير رمزاً عقائدياً وتاريخياً، يُبرز معاني الولاء والاتباع والارتباط بالقيم الأصيلة للإسلام.

أ.د/ عادل محمد زيادة



أستاذ الآثار والحضارة
الإسلامية، كلية الآثار -
جامعة القاهرة

حادثة الغدير ليست حادثة تاريخية عابرة، بل تأسيسٌ لنظام الولاية؛ وهي حاجة الأمة بعد النبوة وهي تكليف الهي نبوي، واستحقاق أيضاً للإمام علي عليه السلام فحقيقته ولاية ربانية قام أو قعد صاحبها، وهي وصية النبي للامة إن طلبت الحق وابتغت سعادة الدنيا والاخرة، ومازالت روح النبوة تطلب من الامة الاستجابة والنجاح في امتحانها الاعظم بها.

الشيخ بلال العبدلي الحسني



مدير علاقات مجلس
علماء الرباط المحمدي
- بغداد

عيد الغدير ليس مجرد ذكرى عابرة أو مناسبة تقام فيها الطقوس؛ بل هو ميثاق مقدس وحلقة ارتبطت بعمق مع العقيدة والإرث الإسلامي السامي. إنه يمثل للبشرية كلها دعوة مفتوحة للتأمل في معاني الولاء الحقيقي والقيادة الصالحة المتمثلة في شخصية الإمام علي عليه السلام، ذلك الرجل الذي كان رمزاً للشجاعة والإيمان والحكمة، الذي جسّد أسمى معاني الإنسانية والتفاني في سبيل الله.

د. علي موسى الموسوي



الامين العام للمجلس
الدولي للحوار الديني
والإنساني - الترويح



عيد الغدير هو الفيصل بين الحق والباطل، بين الثبات والانقلاب على الأعقاب، بين نهج السماء ونهج الوضعية الأرضية، بين نظام الله وأنظمة الفساد والبغي والظلم وقلب الحقائق، بين التمسك بدين الله عزوجل وسنة نبيه وآله المعصومين من جهة والانفلات إلى ظلمات الأهواء والآراء والقياسات والاستحسانات من جهة أخرى. وليس أدل على تداعيات ترك الغدير مما تعاني منه الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء...

د. عباس رضا



الجامعة اللبنانية - لبنان

غدير خم...

ليس مجرد تاريخ، بل هو إعلان موقف، غدير خم هو تسليم أمانة خفية في وداع النبي ﷺ، في آخر محطة كبرى من حياته، لم يترك للأمة مجرد كلمات، بل ترك طريقا ومرجعا واتجاها (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، هذه العبارة ليست مجرد دعوة للمحبة، بل هي إعلان ولاء وسلطة واتجاه.

الغدير يصرخ:

إن الحق ليس بلا صاحب، وأن الاسلام لم يترك هملا، وأن الامة ليست بلا هدى، لكن القضية الحقيقية هي أن فهم الغدير لا يعني احياء ذكرى ذلك اليوم فحسب، بل يعني ان تعرف اليوم مع من تقف، لأن الغدير يقسم الناس على قسمين: من يقف مع الحق، ومن يؤجل الحق والغدير ليس اسما، بل هو خط:

العدل أم المصلحة؟ ، الحق أم الكثرة؟

وربما من العبارات المتشحة بالأسى عبارة هي: ان كربلاء هي نتيجة ترك الغدير، فلو عاش الغدير

الشيخ رحمانى



مدير مؤسسة آل البيت
في تركيا



بوصفه وعيا، لما وقعت كربلاء، ولما تمزقت الأمة بهذا الشكل .

وفي الختام:

الغدير ليس حدثا من الماضي، بل هو سؤال يتجدد في كل عصر:
هل انت اليوم مع علي؟

لم تكن واقعة الغدير في يوم من الأيام واقعة تاريخية عابرة في مسيرة الانسانية، بل إنها النور الذي ينقذ الانسان في كل آن من آفات حياته، حيث كانت الإيدلوجيات الوضعية وما زالت تتصارع عليه، محاولة إنقاذه، وإذا به يكتشف بعد أن يخوض التجربة بأن هذه الايدلوجيات تدمره اكثر وأكثر، ومن ينظر بعين البصيرة، ويتأمل بواقعة الغدير، يرى فيها النور الذي أراده الله عزوجل للإنسان في كل زمان، باعتبار أنها تربط الإنسان بقدوة سماوية، توضح له معالم طريقه في كل جوانب حياته، فهنيئا لمن يملك البصيرة ويبقى متمسكا بها قولاً وعملاً

د. مؤمنة
ياسين الزين



أستاذة في جامعة بلاد الشام فرع السيدة رقية عليها السلام

مذ تنكّر المسلمون لما جرى في غدير خم، وتركوا نهج الغدير، وهم يحملون الإصر والأغلال والمعاصي والذلة والمهانة أمام الأمم؛ فلا يستخفّن أحدٌ بتنكّر المسلمين لهذا اليوم العظيم وعيد الله الأكبر، يوم إتمام النعمة والرضا بالإسلام ديناً؛ ولا قيامة للمسلمين إلا بالرجوع إلى تعاليم الله عزوجل وسنة نبيه وآله، والتمسك بالقرآن الكريم والعتر الطاهرة المطهّرة.

د. بشرى حسن



جامعة الروح القدس - الكسليك - لبنان



يمثل الغدير بالنسبة لي:

الامتداد للولاية الالهية على الخلق عبر أولياء الله،
وخير ولي لله بعد رسول الله ﷺ هو أمير المؤمنين
(صلوات الله وسلامه عليه).
وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتوثيق هذه الولاية
علناً؛ ليحيي من حيّ عن بينه، ويهلك من هلك
عن بينه..

الخطيب الحسيني السيد اسماعيل بن عبد الله الخطيب الحسيني



طالب في الحوزة العلمية وخطيب
وباحث من اليمن

عيد الغدير هو تجسيد فلسفي لمبدأ "استمرارية
النور"، إذ لا يكتمل الزمان إلا بشهادة حاضرة فيها،
ولا تستقيم الحقيقة إلا بوجود إنسان كامل يكون
مرآة للذات الإلهية، ومفسراً للوحي بعد انقطاعه.
إنه برهان "الحاجة إلى المفسر الإلهي"، فكما أن
النص القرآني يحتاج إلى من يبينه ويعلم تأويله،
فإن هذا اليوم يعلن أن الدين لا يكتمل إلا بوجود
إمام معصوم، يكون الامتداد الطبيعي للنبوة في
حفظ الشريعة من التحريف.

أ.د. مازن الحسيني



رئيس جامعة واسط
السابق

يُمثل يوم الغدير، خطة مفصلية مهمة وجوهرية
في التاريخ الإسلامي، إذ يُجسّد الامتداد الطبيعي
لمقام النبوة، واستمرارها عبر مقام الإمامة
العظمى، الممثلة بعلي بن أبي طالب، من المنصب
من قبل السماء وببلاغ من النبي محمد بن عبد
الله في حادثة غدير خم.

الأستاذ عبد الأمير القرشي



مدير مركز كربلاء
للدراستات في العتبة
الحسينية المقدسة

ويحمل الغدير دلالات عميقة تتخطى البعد التاريخي، او العاطفي من أبرزها:

- استمرار مسيرة الرسالة: إذ يُنظر إليه على أنه تتويج لجهود النبي في استمرار الدعوة الإسلامية بتنصيب القيادة بعده.
- ترسيخ مفهوم مبدأ الولاية: بوصفه امتداداً لنهج النبوة: لضمان استمرار الارتباط الروحي والديني والقيادي المتمثل بالإمام علي .
- وحدة المنهج والقيم: إذ يؤكد ضرورة الحفاظ على مبادئ العدالة، والحق، والإصلاح.
- رمزية البيعة والوفاء: فهو يوم يُجَدّد فيه المؤمنون العهد بالالتزام بخط أهل البيت عليهم السلام.
- كما يُعد يوم الغدير مناسبة عظيمة يحرص المسلمون فيها على اقامة مظاهر الفرح، والسُرور، والتأكيد على معاني الأخوة، لما يحمله من معاني عقائدية وروحية عميقة.

يمثل عيد الغدير شعاعاً أزلياً، أشرق ويبقى مشرقاً في روح الإنسانية، يعانق القلوب المؤمنة بلا حجب، وتغدو نسمات الفرح بمعناه عبيراً يملأ الزمان، بوصفه حاملاً قيم الفضيلة على أجنحة الدهور. إنه صدى النبي الأزلي، يمتد عبر العصور؛ ليكشف عن منبع الحقيقة ويهديها لكل قلبٍ واعٍ، وهو لقاء الأرواح، وانتماء للسموّ الإلهي، ونعمة الأمل التي تحاور الزمن في الأفق البعيد، حين تَسودّ ظلمات الضمائر.

فعيد الغدير مرآةٌ روحانية، تكشف عن خبايا القلوب المضيئة بمحبة أهل البيت عليهم السلام، إذ تشرق عيون البصيرة بجمال الحقيقة، وتعلن فصاحة الحب والوفاء في سماء الوعي الإنساني..

أ.د. صباح عنوز



كلية التربية للنبات -
جامعة الكوفة



بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين
إنَّ يوم الغدير ليس مجرد استذكار لواقعة تاريخية
عابرة؛ بل هو تجسيدٌ عمليٌّ لأسس العقيدة
الإسلامية الراسخة ومفتاح فهم ديمومة الخطاب
الإلهي. فمن منظور علم الأصول، يمثل الغدير
تنصيباً إلهياً، يحدد المرجعية العلمية المطلقة،
التي تلي مقام النبوة، وهو الضمانة الوحيدة
لاستمرار سلامة الشريعة من التأويلات المنحرفة
أو الأهواء السياسية. إنَّ الولاية المُعلنة في الغدير
هي الأساس الشرعي لصحة الاستنباط الفقهي
والعمق الاعتقادي، الذي لا يحده زمان.
اللهم ثبت قلوبنا على التمسك بهذا النور، واجعلنا
من الموالين حقاً وفعالاً في الدنيا والآخرة.

الأستاذ الدكتور محمد إسماعيل عبدالله

أستاذ الحوزة العلمية بقم،
وأستاذ في جامعة طهران

يشكّل عيد الغدير في وجداني محطةً روحيةً
جامعة، يتجلّى فيها معنى الأمانة في القيادة
والخدمة، قبل أن يكون حدثاً تاريخياً فحسب،
فالغدير يذكّرنا بأن الرسالة الإلهية لا تكتمل
إلا بإنسان أمينٍ عليها، يحملها بروح المحبة
والعدالة والتضحية. ومن هذا المنطلق أراه
دعوةً دائمةً إلى وحدة المؤمنين حول القيم
التي جسدها الإمام علي، قيم الحقّ والرحمة
ونصرة الإنسان. وهكذا يبقى الغدير جسراً
للحوار بين القلوب، ونبعاً لإلهام أخلاقي وروحي
يتجاوز الأزمنة والانقسامات.



الخوري د. ميخائيل الياس

أستاذ التاريخ الكنسي
والآثار والفنون
واللغات السامية في
الجامعات اللبنانية



يمثل الغدير ولاية الإمام علي صلوات الله عليه فأقول:

كُبر الحرف في فمي ومدادي فتراني أقول في الميلا
سيدي يا علي أنت أميري وشفيعي حتما بيوم الميعاد
أنت في القلب والعيون مقيم شامخ الطود سيد الأسياد
أنت منا وأنت فينا وتبقى أبد الدهر ثابت الأوتاد
أنت فينا حبل الوصال متين بين هذي الدنيا ورب العباد
أنت فينا (نهج) نسير عليه ومنار يهدي لخير الزاد
سيدي يا علي لولاك ضلّاع الـ دين منا وضاع حرف الضاد

الأستاذ المتمرس د. يحيى السلطاني



كلية الصبيلة - جامعة
الكوفة

لكل أمة من الأمم امتحان وابتلاءات تختلف عن
غيرها. وغدير خم هو الامتحان الأهم والأصعب،
الذي ابتليت به الأمة الإسلامية، فكان الفاصل
والفصل بين نهجين ومنهجين؛ نهج الحق و الثبات
والصدق والوفاء يقابله نهج الانقلاب على الأعقاب
والتلوي والتلون والذرائعية، ومنهج الغدير مقابل
منهج السقيفة، وشتان ما بين منهج السماء
ومنهج الأرض.

د. نور رضا حطيظ



الجامعة اللبنانية - لبنان

الأحاديث الكريمة لرسول الإنسانية محمد ﷺ
تتضمن الإمامة بعد النبوة لفظاً (أخي ووصي
وخليفتي) و (لا نبوة من بعدي) و (من كنت مولاه
فعلي مولاه) وقد نفذت هذه الاحاديث الشريفة
قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، ونحن
مع رأي الدكتور طه حسين في الإمام علي عليه السلام (نشأ
في منزل الوحي بأدق معاني هذه الكلمة وأضيّقها
)، فأصبح التاريخ شاهداً ان الامام عليا عليه السلام، كان في
الميدان شاهداً، وفي العلم رافداً، وفي العدالة رائداً.

الأستاذ المتمرس د. حسن عيسى الحكيم



رئيس جامعة الكوفة
الاسبق



يعد يوم الثامن عشر من ذي الحجة في العام العاشر للهجرة المباركة الإعلان التنصيصي من الله تعالى، على لسان نبيه الأمين ﷺ في آية التبليغ، فكان بها انعقاد الولاية والإمامة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ضماناً لاستمرار النهج النبوي، وتوصلاً إلى ديمومة وحدة الكلمة، وقوة الصف المجتمعي؛ لحصانة أمة التوحيد الفتية من مهاوي الأخطاء ومغاوي الانحرافات، على مختلف المستويات اجتماعياً وسياسياً وفقهياً وإدارياً، ولكنها الأقدار التي ضيقت هذا الضمان الرصين، فقدمت على الاختيار الإلهي من قصر عن اللحاق بفضائله، فكان مما كان وما سيكون، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقَرَّنُ بِي مَنْ لَمْ يَشَعْ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي) ورحم الله الكميت :

ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثله حقا أضيعا
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



أ.د. عباس علي الفحام

كلية التربية للبنات -
جامعة الكوفة



قبل أن تتفرّق الطرق





في ذلك اليوم القائظ قفل الحجيج، يلملمون الأمتعة للعودة بعد رحلة شاقة، أكملوا فيها فريضة الحج، وبأحرّ من الجمر يعدون الدقائق - شوقاً - ويمتّون النفس لو طويت الطريق برمشة عين للوصول إلى الأهل والأحبة.

وعلى مفترق الطريق، وفي تلك المحطة الحدودية، التي تنطلق منها الباصات العائدة من الديار المقدسة، وقف سليم يلوّح بيديه محاولاً إيقاف السائقين المغادرين.. فماذا يريد...؟



المكان يُسمّى «مدينة الحجاج والمعتمرين» يقع في منفذ عين التمر الحدودي التابع لمدينة كربلاء المقدسة؛ اسمٌ اختاره المنظمون لمكان استراحة الحجاج، ليقدم خدماته المختلفة في أثناء عملية التفويج.

أراد سليم أن يجمعهم قبل أن يتفرّقوا إلى مدنهم، جاء في خاطره أن يقيم احتفالاً قصيراً يذكّرهم بمعنى الرحلة لا بمشقتها فقط، كان يحول في خاطره احتفال بمناسبة عزيزة على القلوب.

عندها تراصّت الباصات الكبيرة على جانب الطريق، واحدة بعد الأخرى، محمّلة بالحقائب والأمتعة ووجوه متعبة، لفحتها شمس الظهيرة وتحذوها أمنيات العودة.. حين ذاك أطل أحد السائقين برأسه من النافذة ليفسح لنفسه طريقاً وسط الزحام بصرخات متتالية:

يا رجل، الناس مرهقون جداً، دعهم يعودون إلى بيوتهم!
وقال آخر: أمانا طريق طويل يا عزيزي، افسح لنا لنغادر.

ابتسم سليم وقال:

تمهلوا أيها الأحبة، لحظة واحدة فقط.. بالأمس تعلمنا أن عرفات موقف وليس وقفة، وأنه اعتراف أمام الله أن المواقف قد تغيّر مجرى أمة.

تعلمنا أن عرفات لحظة فارقة يتحول فيها الحجاج من مستغفرين إلى فائزين، وأنا أريد منكم اليوم وقفة أخرى للبيعة، وأن نكون بجانب أهل الخير لا الباطل.

لم تكن فكرة غدير خم تغيب عن مخيلته، وظلت تراوده في كل عيد غدير ومع كل احتفال وبيعة، كانت الحادثة شاخصة إزاء عينيه، يوم جمع النبي ﷺ الناس بعد حجة الوداع، هناك، في تلك الصحراء القاحلة وفي وقت الهجير، كانت الرياح لافحة محرقة، وما كان في تلك الصحراء ما يستظل به، اللهم إلا بضع شجيرات عجاف عارية تصارع حرارة الجو صراعاً مريعاً. كان جمع قد لجأ إلى هذه الشجيرات، ونشر



رداءه عليها ليستظل به رسول الله ﷺ، إلا أن الرياح الساخنة كانت تعصف بتلك المظلة فتتشر تحتها حرارة الشمس الحارقة المتربعة في كبد السماء.

وبعد إقامة الصلاة ظهرراً رقى خاتم الأنبياء منبراً صنع له من الأحجار وأقتاب الإبل، ووقف على أعلى مرقاة منه. ثم نادى بأمر المؤمنين ﷺ وأمره أن يصعد المنبر ويقف إلى يمينه. فجاء ﷺ ووقف على المنبر أدنى من موقف المصطفى بمرقاة بحيث وضع النبي ﷺ يده على كتفه.. وما هو إلا فواق ناقة حتى شرع الصادق الأمين بخطبته يعلن فيها تلك العبارة الخالدة:

”من كنت مولاه فهذا علي مولاه“

اليوم، وفي هذا المكان، ومن على بعد أكثر من ١٤٠٠ عام من تلك الحادثة، وقف سليم محاولاً أن يستذكر رحلة التتويج الإلهي، وبدأ حديثه عن طريق الميكروفون، بعد أن صمتت الضوضاء شيئاً فشيئاً. قال:

يا حجاج بيت الله الحرام، أيها المؤمنون، لم يتبقّ لعيد الغدير سوى أيام معدودات، لمْ لا نجدد البيعة هنا، ونعلن الولاء لأمر المؤمنين مرة أخرى، ونحن بملايس الحج البيضاء التي لم يغادرها عطر بيت الله بعد.. الحج أيها الأحبة ليس نهاية بل هو نقطة شروع لرحلة جديدة.

تقدّم رجل مسنّ، وقال بصوت متهدّج:

تجمّع في تلك الحادثة قرابة مائة ألف حاج، أتذكّر أن النبي ﷺ أخذ بيد علي ليرفعها عالياً حتى رأى الناس بياض إبطيهما، كان المشهد مهيباً توجّ فيه الإمام بتاج الإمامة، حينما ألبسه المصطفى عمامته «السحاب»..

وقال آخر:

يا سليم كانت تلك الحادثة إعلان ولاية لا مجرد خطاب.



ردّ سليم:

ونحن اليوم، نرفع أيدينا لنجدد العهد على أن يكون الحج سلوكاً قوياً، وأمانةً في الأعناق، وعدلاً بين الناس.

بدأ الحضور بالهتاف والترديد بحماس: (يا علي بايعناك، جينة انجدد البيعة).

وقال آخر بصوت جميل ردد بعده الحضور:

هذا عيد الله الأكبر علي مولانا علي

وطه رافع إيد حيدر علي مولانا علي

الما يبايع علي يخسر علي مولانا علي

والنبي هل الليلة بشر علي مولانا علي

بايعناك يا كرار جينة انجدد البيعة

لم تكن بيعة الغدير، حدثاً تاريخياً عابراً، حتى أنها لم تكن إعلاناً سياسياً فحسب، بل كانت وثيقة بين رجل وأمة: أن يكون الحق مع علي، وعلي مع الحق، يدور حيثما دار، وأن لا يتفرّق الناس بعد أن جمعتهم كلمة (الولاية) وعهد البيعة.

اقرب أحد الشباب، وقال:

كأنك تحاول إعادة المشهد، أو قل إنك تريد صناعة غدير آخر.

ابتسم سليم، ونظر إلى الباصات الممتدة، وجموع الحجاج المتهيجون وهم يهتفون ويشرون الحلوى، وقال:



السؤال هو متى غاب الغدير عنا لأصنع آخر، الغدير ليس مكاناً فقط... الغدير لحظة إدراك تتجدد في كل زمان لتنهل منه، وكل أمة تحتاج من يذكرها قبل أن تتفرق طرقها.

ومع غروب الشمس، بدأت الباصات تتحرّك ببطء. لكن هذه المرة، لم يكن المشهد مجرد عودة من سفر؛ كان امتداداً لحكاية قديمة، تتردد أصداؤها بين رمال الأمس وطريق اليوم، بين بيعة رُفعت فيها يد، وقلوب ما زالت تبحث عن معنى الولاء والعدل في كل زمان.

تهنئة الشيخين يوم الغدير ودلالتها على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

أخرج العلامة السيد علي بن شهاب الدين الهمداني، والعلامة الحافظ محمد صالح الكشفي الترمذي (حديث الغدير) بعدة طرق وإضافات عن عمر بن الخطاب قال: نصّب رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً عليه السلام علماً فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيد عليهم. قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح. قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عقداً لا يحله إلا منافق. فآخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل يؤكد عليكم ما قلته في علي^(١).





الأستاذ المساعد الدكتور
 صرغام علي محسن
 جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية



مولى كل مؤمن:

لما انتهى رسول الله ﷺ من مراسم الغدير الخطبة الغراء، ونصب علياً عليه السلام علماً للخلافة والإمامة من بعده، وقوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، وسائر فقرات الخطبة ودعائه لعلي عليه السلام أمر الحاضرين رجالاً ونساء أن يبايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمرة والخلافة من بعده، فكان الحاضرون يتهافتون على الإمام علي عليه السلام ويباعونه على ذلك حسب ما أمرهم النبي ﷺ، حتى النساء بايعنه، حيث وضع لهن طست فيه ماء - كما أمر بذلك النبي ﷺ - فكن يدخلن أيديهن فيه وكان علي عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة احترازاً من ملامسة الاجنبيات والتسليم عليهن مصافحة. وهكذا تمت البيعة لعلي عليه السلام وأذن الجميع بأنه عليه السلام مولاهم، وأقروا له بالاتباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه.

والجدير بالذكر أن هذا الحديث المتواتر رواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرخاً، بسندهم عن أبي بكر وعمر، وأنها قالها لعلي عليه السلام بعد خطبة النبي ﷺ وأمره بالبيعة لعلي عليه السلام: بخ بخ... أو هنيئاً لك... وأمثال هذه العبارات الدالة على المبالغة في التهئة والتبريك وتعظيم منصب الولاية العظمى والخلافة الكبرى لعلي عليه السلام.

وهناك بعض النماذج من عبارات التهئة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً، أو انفرد به أحدهما، مما روي في مصادر أهل السنة المعتمد عليها عندهم:

- ١- أصبحت مولى كل مؤمن.
- ٢- بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ٣- بخ بخ لك يا علي، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ٤- بخ بخ لك يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ٥- بخ بخ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة.



- ٦- بخ بخ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ٧- طوبى لك يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ٨- طوبى لك يا علي، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ٩- هنيئاً لك أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ١٠- هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ١١- هنيئاً لك يا أبا الحسن، أصبحت مولى كل مسلم.
- ١٢- هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ١٣- هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات.
- ١٤- هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
- ١٥- هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن.
- ١٦- هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن ومؤمنة.
- ١٧- يا بن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن.
- ١٨- أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة.

فلو تمنع القارئ الباحث عن الحق في موضوع الخلافة وتأسيسها في (غدير خم)، وما ورد من تفصيل ذلك في مئات الكتب الحديثية والتفسيرية والتأريخية والعقدية والأدبية مما ألفه علماء أهل السنة، التي جمعها المحقق العلامة السيد مير حامد حسين اللكهنوي في كتابه (عبرات الأنوار) قسم الغدير الذي بلغ عشرة مجلدات، وكذا في الأحد عشر مجلداً من (كتاب الغدير) تأليف العلامة المحقق الشيخ الأميني، وسائر الكتب المختصة بموضوع الغدير البالغة ١٨٤ كتاباً بمختلف اللغات والأحجام، التي ذكر أسماءها العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي في كتابه (الغدير في التراث الإسلامي)، لا بد أنه يتبادر إلى ذهنك هذا السؤال المهم: فلو لم تكن كلمة رسول الله ﷺ في غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه)، مع كل ما احتوته من الميزات الظرفية والوقائع مثل الظروف المحلية والتأريخية واجتماع الحجاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساء، دالة على أهمية مسألة الإمامة

والخلافة المتصلة بالنبوة المحمدية وأهميتها في مصير الأمة الإسلامية، وقلنا إنها موضوع اعتيادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينية.

فكيف تفسر تهنة الشيخين أبي بكر وعمر لعلي عليه السلام بتلك العبارات، ومن ذلك قولهما له: بخ بخ لك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟ هذا هو السؤال الذي يحتاج إلى جواب صريح من دون اللف والنشر والتزوير والتهرب والتخرس بأن المسألة ليست ذات أهمية. ومما يؤيد ويرجح الغاية السامية في تشكيل ذلك الاجتماع الكبير في غدِير خم هو بيان خلافة الإمام علي عليه السلام وإبلاغها إلى الناس فقط لا شيء سواه^(٢). وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((وكان ممن أظن في تهنته بذلك المقام عمر بن الخطاب، وقال فيما قال: بخ بخ لك يا علي! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)).

خلافة الرسول ﷺ:

الملاحظ في ألفاظ التهنة، التي ذكرتها الروايات عن الشيخين وغيرهم ممن كان في جمع يوم الغدير، كلها وردت فيها كلمة (مولى)، وهذه الكلمة تدل على الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام وخلافته بالنص بعد رسول الله ﷺ وذلك بأدلة عدة منها:

أولاً: إن معنى الأولى والولاية مشهور بين أهل اللغة متداول بينهم، ذكره أبو عبيدة وغيره من أئمة أهل اللغة. وفي الخبر: ((أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاهها))^(٣) أي: الأولى بها والمالك لتدبير أمرها.

وتقول: السيد مولى العبد، أي: الأولى بأمره وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله تعالى: أصل الولي الذي هو أولى أي: أحق، ومثله المولى، نقله عنه أمين الإسلام أبو علي الطبرسي في تفسيره^(٤) والمنقول عن الفراء في كتاب (معاني القرآن) نحوه. وهو بهذا المعنى اسم لا صفة، ليعترض بأنه من صيغة اسم التفضيل، وأنه لا يستعمل استعماله.



ثانياً: إن صدر الخبر يدل على إرادة هذا المعنى، وهو قوله ﷺ (ألسنت أولى بكم من أنفسكم) ومعنى كونه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم: إما كونه أحق بتدبيرهم، وحكمه عليهم أنفذ من حكمهم على أنفسهم خلاف ما حكم به، لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله تعالى، أو أنه أولى بهم في الدعوة، فإذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى خلافه كانت طاعته أولى بهم من طاعة أنفسهم، كما نقل عن ابن عباس وعطاء، أو أن حكمه عليهم أنفذ من حكم بعضهم على بعض.

وكذا التأمل في الخبر عن رسول الله ﷺ حيث كان ينادي ويقول: أيها الناس إن الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا ومن كنت مولاه فعلي مولاه. لأنه ابتداء ﷺ بالإخبار بأن المتصرف في أمره كله، والمالك لأزمة شؤونه، هو الواجب المطلق والمعبود بالحق جل شأنه، ليستفاد منه أنه ﷺ في كل أحواله وعامة تصرفاته متابع للوحي الإلهي، ومشايخ للأمر الرباني، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. ولعل تأكيد بـ (أن) والجملة الاسمية، مع أن الحكم المذكور مما لا ريب فيه، لتزليل الصحابة بمنزلة المنكرين لهذا الحكم، لتثاقلهم عن الحق وكرهاتهم لنصبه ﷺ علياً ﷺ علماً للناس، حتى كأنهم ينكرون أنه وحي من الله سبحانه ويزعمون أنه حابا ابن عمه، وأخبار الخصوم صريحة في كراهة الصحابة لتعيينه له ﷺ، فيمكن ادعاء أن التأكيد مقتضى الظاهر، فتأمل. ثم انه ثنا ذلك بالإخبار بأنه ﷺ هو المتصرف في شؤونهم، والمتولي لأحكام دينهم ودنياهم، فقال: وأنا أولى بكم من أنفسكم. ثم ثلث بالإخبار بأن أمير المؤمنين وباب مدينة العلم أولى بالتصرف في كل من هو ﷺ أولى به من نفسه، وقدم عليه المقدمتين الأوليتين لما يعلمه منهم من أنهم لا تطيب أنفسهم بتقديمه ﷺ عليهم، فسجل عليهم بهما، وقطع بهما عرق الاختيار، وحسم بهما مادة الرجوع الى الأهواء الشيطانية، وأوجب التسليم الى الله سبحانه والى الرسول ﷺ، وعدم التعرض لنقض شيء مما أبرمناه، وهذا واضح عند التأمل بعين البصيرة..



ثالثاً: إنّ الصحابة فهموا من الولاية معنى الإمامة والخلافة والوصاية، وتحققوا أن مراده هو ما ذكرناه من دون بقية معانيها مثل الناصر أو الصديق الخارجة بالسياق، لأنهم هنوا علياً عليه السلام بذلك على وجه بليغ، والتهنئة غير مستحسنة لو أريد غير هذا المعنى، بل تهنئة عمر بن الخطاب صريحة في إرادة هذا المعنى، أعني قوله (بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) كما ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه (سر العالمين وكشف الدارين)، وقد ألفه في أواخر عمره ما حكايته: ((لكن أسفرت الحجة عن وجهها، وأجمع الجماهير على قوله صلوات الله وسلامه عليه في غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. فهذا نصّ وتسليم ورضا وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرئاسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، فسقاهم كأس الهوى، فعاد الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون))^(٥).

ومّا ينطق بفهمهم هذا المعنى الخبر الذي رواه المفسرون^(٦)، المتضمن لنزول قوله تعالى ((سأل سائل بعذاب واقع)) في الحارث بن النعمان الفهري، ومحاورته للرسول في ذلك، وقوله له عليه السلام: ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا، فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله عز وجل؟ فإنه صريح في إرادة الأولى بالتصرف، كما لا يخفى على من له ذوق صحيح وفهم صريح. ولو كان المراد به الناصر أو الصديق أو نحوهما، لم يغضب الحارث بن النعمان الفهري من ذلك، ولم يكن فيه تفضيل لعلي عليه السلام على الصحابة، حتى يقول: ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا. وقوله (فهذا شيء منك أو من الله) أدل دليل على ذلك - كما لا يخفى - وأصرح.

رابعاً: إنّ غير ذلك من معاني المولى غير صالحة هاهنا، لاستحالة أن يقوم رسول الله ﷺ في ذلك الوقت الشديد الحر، ويدعو الناس



ويخبرهم بأشياء لا مزيد فائدة فيها، بأن يقول: من كنت ناصره أو صديقه أو معتقه أو ابن عمه فعلي كذلك، مع أن الولاية والنصرة والمحبة عامة في جميع المؤمنين، كما قال سبحانه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

هذه بعض الأدلة على أن يوم الغدير كان يوماً لمبايعة أمير المؤمنين (عليه السلام) على الولاية والخلافة والوصاية من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن عبارات التهنئة التي قيلت للإمام (عليه السلام) في ذلك اليوم من باب الإلزام بما ألزموا به أنفسهم، وأقروا به بألستهم.

-
- ينابيع المودة: ٢٤٩، الكوكب الدرّي للكشفي: ١٣١ المنقبة رقم ١٥٤.
 - ينظر: الإمام علي (عليه السلام) في آراء الخلفاء: ٧٦
 - عوالي اللآلئ: ٣٠٦/١
 - ينظر: مجمع البيان: ٢/٢٠٩
 - سر العالمين ٢١ ط النجف الأشرف.
 - ينظر: تفسير القرطبي: ١٨/٢٧٨، وفتح القدير: ٥/٢٨٨.

مولى به الله يهدي كل حيران

السريجي الأوالي (ت: ٧٥٠هـ)

إن لم أفض في المغاني ماء أجفاني	فما أفظ إذن قلبي وأجفاني
ولي بود أمير النحل حيدرة	شغل عن الله والإطراب أهاني
مردى الكماة وفستاك العتاة وهط	سال الهبات وأمن الخائف الجاني
بنى بصارمه الاسلام إذ هدم الـ	أصنام أكرم به من هادم باني
سائل به يوم أحد والقلب وفي	بدر وخير يا من فيه يلحاني
ويوم صفين والألباب طائشة	وفي حنين إذا التف الفريقان
ويوم عمرو بن ود حين جلله	عضبا به قربت آجال أقران
وفي "الغدير" وقد أبدى النبي له	مناقبا أرغمت ذا البغظة الشاني
إذ قال: من كنت مولاه فأنت له	مولى به الله يهدي كل حيران
أنزلت مني كما هارون أنزل من	موسى ولم يك بعدي مرسل ثاني
وآية الشمس إذ ردت مبادرة	غراء أقصر عنها كل إنسان
وإن في قصة الأفعى ومكمنه	في الخف هديا لذي بغض وارعان
وقصة الطائر المشوي بيته	لكل من حاد عن عمد وشنآن
من غيره بطن العلم الخفي ومن	سواه قال: اسألوني قبل فقداني
ومن تصدق في حال الركوع ولم	يسجد كما سجدت قوم لأوثان
من كان في حرم الرحمن مولده	وحاطه الله من باس وعدوان
ومن يقول: خذي يا نار ذا وذري	هذا وبالكأس يسقي كل ظمآن
من غسل المصطفى؟ من سال في يده	أجل نفس نأت عن خير جثمان



جوهري الوجود

الشيخ عبد الحميد السماوي (ت: ١٣٨٤هـ)

بلبل الوحي في ضفاف الغدير صادح باسم موكب التأمير
 يتحدّى الاجيال مهما ترامت في مجاهيل عالم مستور
 هيكّل من تعطف وحنان مائل فوق هيكّل من شعور
 جوهري الوجود لم تتفاعل فيه شتى عوامل التغيير
 يقطع النص في عليّ بنص ويشدّ الدستور بالدستور
 ما تلاشى صوت الحقيقة حتى ار تعش الحق في فم الجمهور
 حيث ساد الصموت لولا هناة طبّلت للقفول قبل المسير
 همسات تذوب في همسات وسطور تنحلّ فوق سطور
 رقّمته يراعة الكون رمزاً فوق أثباج بيتها المعمور
 عبّرت حين عبّرت عنه لولم يتسامى عن حيّز التعبير
 فسّره كما تشاء ولكن تشكل الواضحات بالتفسير
 هيمنت فوق مستوى الحسّ لما أن تحطّطت عوالم التفكير
 فهي برهان سورة الفتح إن لم تك عنوان آية التطهير
 فساء الوجود تعزف فيها نغبات التهليل والتكبير
 ورياض الخلود تعقد فيها حفلات الإكبار والتقدير
 يا أخا المصطفى تعاليت شأناً عن مقام التمثيل والتنظير
 أنا لم أدر كيف أثني فحسبي من ثنائي الشعور بالتقصير
 أنت في منتهى الظهور خفيّ ولدى منتهى الخفا في ظهور

يا صاحب المجد

أبيات مختارة للشاعر الشيخ هاشم الكعبي (ت: ١٢٣١هـ)

أرأيتَ يومَ تحمّلتك القُودا من كان منّا المثقلَ المجهودا
لو شئتَ أن تعطي حشاي صبايةً فوق الذي بي ما وجدتَ مزيدا
ولئن أبحتَ تجلّدي فطالما ألفتيني عند الخطوب جليدا
أورحتَ تنكر صبوةً قامت على إثباتها فرق النحول شهودا
فلقبّل ما التزم العناد معاشرُ جحدوا علياً يومه المشهودا
أخذوا بمسروب الشراب وجانبوا عذباً يميز الوافدين برودا
مصباح ليلتها صباح نهارها يُمنى نداها تاجها المعقودا
مطعنها مطعامها مصدامها مقدامها ضرغامها المعهودا
بشرٌ أقلّ صفاته إن عاينوا منهنّ ما ضنّوا به المعبودا
يا صاحب المجد الذي لجلاله عنت البرايا منصفاً وعنيدا
لك غرّ افعالٍ اذا استقرّيتها أخذت عليّ مفاوزاً ونجودا
وصفات فضل اشكلت معنىً فلا إطلاق يكشفها ولا تقييدا
ومراتب قلّدتهم بمناقبٍ كالعقد تلبسه الحسان الخودا
ما مرّ يومك ايضاً عند الندى إلا انثنى بدم العدى خنيديدا
أنّى يشقّ غبار شاؤك معشرُ كنت الوجود لهم وكنت الجودا
يجنون ما غرست يدك قضيةً ألقت على شهب العقول خمودا
أنّى همّ والخيّل ينشر وقعها نقعاً تظنّ به السماء كديدا
ومواقف لك دون أحمد جاوزت بمقامك التعريف والتحيديدا
فعلى الفراش مبيت ليلك والعدى تهدي اليك بوارقاً ورعودا
فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما يهدي القراع لسمعك التغريدا
فكفيت ليلته وقمت معارضاً بالنفس لا فثلاً ولا رعيديدا
واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم جبلاً اشمّ وفارساً صنيديدا
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى أو ما دروا كنز الهدى مرصودا
وغداة بدرٍ وهي ام وقائع كبرت وما زالت لهنّ ولودا
سجدت رؤسهم لديك وإنمأً كان الذي ضربت عليه سجودا
وبني قريظة والنضير وسلعاً والوادين وختعاً زبيدا
مزقت جيب نفاقهم فتركتهم أمماً لعاريّة السيوف غمودا
اني لأعذر حاسديك على العلى وعلاك عذري لو عذرت حسودا
فليحسد الحساد مثلك انه شرفٌ يزيد على المدى تجديدا



هو الآية الكبرى

سليمان بن داود المزيدي (ت: ١٢١١هـ)

ظهور المعالي في ظهور النجائب	ونيل الأمان بعد طي السباب
مهابط وحي أفقرت وتنكسرت	معالمها من فادحات المصائب
لقد أوجبت آي الكتاب ودادهم	وود سواهم لوزكا غير واجب
بهم من علي آية الله آية	فحازوا به في الفخر أعلى المراتب
هو الآية الكبرى إمام ذوي النهى	هو العروة الوثقى رقى أي غارب
فلو لم يكن خير الورى وإمامها	لما جاز أن يرقى خيار المناكب
ولو لم يكن مولى الورى مثل حيدر	فما هو إلا حجة للنواصب
فإن قلت نفس المصطفى كنت صادقاً	ولو قلت عين الله لست بكاذب
ولم ير في يوم الوغى غير ضاحك	ولم يقف يوم الروع آثار هارب
فيا خيرة الله العلي ومن له	مناسم مجد فوق أعلى الكواكب
ويا من كتاب الله جاء مؤكداً	مودته في حفظ ود الأقارب
وفي (هل أتى) و (النجم) جاء مديحه	وفي (العاديات) الغربين الكتائب
ويا خير من يدعى لدفع ملمة	ويا خير من يدعى لدفع النوائب
أياجد من أرجو ومثلك مؤئلي	ولست لأهوال الزمان بهائب
فخذها أبا الأطهار نفثة مغرم	يناجيك فيها يا سليل الأطائب

تجسيد الحدث الديني في السينما: يوم الغدير أنموذجاً للغياب

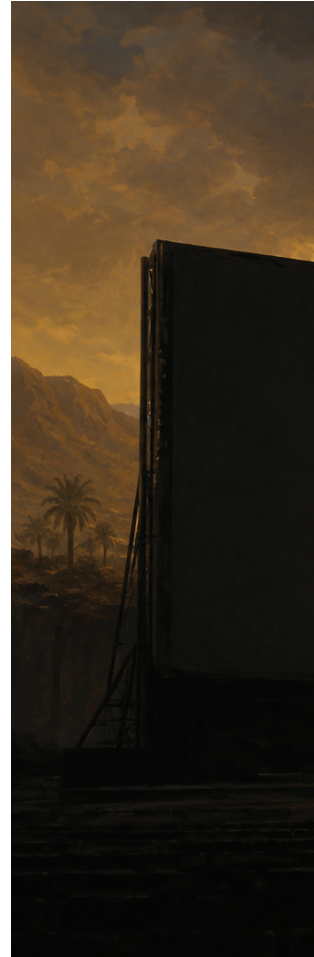


د. علاء المرعشي
جامعة الكوفة - كلية الآداب



تحرص أغلب شركات الإنتاج السينمائي على صناعة السرديات والقصص والحوادث المتعلقة بالأحداث المهمة، وبخاصة التاريخية منها، إذ إن كثيراً من الأفلام العالمية تناولت صغائر الأمور وبسائطها، وضخمت كثيراً من الأحداث والقضايا وبالغت فيها؛ بل سعت إلى اختلاق العديد من الأحداث، التي لا وجود لها أصلاً من أجل الإثارة وجذب انتباه المشاهدين.

وفي الوقت نفسه نجد أن هناك تغييباً حقيقياً في هذه النتاجات السينمائية التاريخية لقضايا دينية يمكن أن تكون عناصر جذب المشاهدين، وإيصال رسائل إيجابية لهم، عن طريق عرض قضايا يمكن أن تضيء لهم الطريق إلى جادة الحق، وإبعادهم عن الشبهات والموضوعات والخرافات التي سعت جهات منحرفة إلى زرعها في مادتهم الإعلامية بشكل مقصود.



ومن هذه الوقائع المهمة هي واقعة الغدير، التي نُصّب فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة للمسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى، وعلى الرغم من الأهمية التاريخية التي حظيت بها بين المسلمين، بما اجمعت بها المصادر الإسلامية الرصينة من التأكيد على هذه الواقعة، وتواتر الناقلين لها، واعتراف جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية بحصولها، لكننا نرى غيابها عن المشهد الدرامي والسينمائي، حتى أن أبرز الأفلام السينمائية التاريخية الدينية «وهو فيلم الرسالة» أعرض عن ذكرها أو الإشارة إليها، واكتفى فقط بالتصريح ببعض أجزاء هذه الواقعة، ونقل بعض الوصايا العامة التي ذكرها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، في حين ابتعدت بشكل لافت عن ذكر ما جرى في الوصاية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعدها بالخلافة ومبايعته من قبل جميع المسلمين الحاضرين في هذه الواقعة..

تساؤلات عن واقعة الغدير فينتاجات السينمائية

إن المتابع للسينما والأفلام المعروضة فيها، يجد أن هناك تسلسلاً تاريخياً لبداية الأفلام الدينية، يتزامن بشكل متقارب جداً مع نشأة السينما، إذ ظهرت بعد ثماني سنوات من انطلاقتها. ولكننا لا نجد البتة ذكراً لهذه الواقعة أو إشارة إليها، ويمكن لنا أن نسأل هذه الاسئلة: هل هناك تغييب مقصود لواقعة الغدير عن السينما العربية والإسلامية؟ ولماذا هذا التغييب؟ ومن يقف وراء هذا التغييب؟ وهل توجد معالجات لهذا التغييب في الوقت الحاضر أو المستقبل؟

السينما الغربية ونتاجات الدينية

يُرجع الباحثون الانطلاقة الأولى للسينما في العالم إلى عام ١٨٩٥م، بعد أن شهد مقهى «جراند كافي» في باريس أول تجربة لعرض الصور المتحركة، وهو عرض الأخوين «لوميير السينمائي»، وبدأت منذ ذلك



الحين تظهر دور العرض السينمائي في أوروبا وأميركا، واللافت أن نصيب العروض الدينية لم يكن قليلاً في تلك المدة المبكرة، ففي عام ١٩٠٣م تابع الجمهور الأميركي فيلم (آلام المسيح) الذي عُرض في مدة ستين دقيقة متواصلة، بينما عرضت فرنسا تصويراً مسرحية حياة وآلام المسيح، مدتها ٤٤ دقيقة^(١).

ومنذ بداياتها تصدت السينما وعالجت العناصر التي تُعنى بها الأديان عموماً، وهي تفسير الطبيعة ووضع للإنسان إطاراً أخلاقياً لضبط السلوك، فضلاً عن تضمينها لمجموعة من المعتقدات والطقوس والنصوص والقيم الأخلاقية. كما ظهرت الأفلام التي تتناول في مضامينها الهرطقة أو نهاية العالم، مما أسس للعداوة أحياناً بين السينما والكنيسة. ويمكن أن يحدد بداية ذلك منذ عام ١٩٠٩، زمن السينما الصامتة، حين شكلت الكنيسة لجنة لمراجعة الأفلام، وفي ثلاثينيات القرن الماضي تشكلت جماعة تطلق على نفسها «فيلق الحشمة»، هدفها مكافحة «الفجور في السينما»^(٢).

وعن تاريخ هذه الأفلام الدينية في السينما العالمية، وتقييم المضامين المطروحة فيها كتب ليزلي هاليلو قائلاً: «إن صنّاع السينما قد استلهموا الدين منذ البداية كورقة تجارية رابحة»^(٣).

وباستقراء أغلب الأفلام التي انتجتها السينما الغربية فيما يتعلق بقضايا الدين، نجد أنها تضمنت قضايا مرتبطة بالمسيحية المستمدة من معتقدات التوراة والإنجيل، وتراوح محتواها بين تقديم قصص عن الأمل والخلاص استناداً إلى قصص دينية وبخاصة بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٥٠ الذي شهد ظهور الكساد الكبير الذي أدى إلى امتلاء الناس باليأس والإحباط، أو رفع الروح المعنوية في أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم مالت السينما إلى معالجة القضايا الدينية المتضمنة التشكيك والتأمل، تحت تأثير الثورات الاجتماعية والثقافية وأفكار ما بعد الحداثة بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨٠، بعدها انتقلت السينما مع دخول تسعينات القرن الماضي، وبعد تمتع العالم بتطور تقني هائل، خلق حلاً من التنوع في تناول القضايا الدينية، التي منها تعدد تصورات الإيمان، ومفهوم

الألوهية، وتوظيف الرموز والاستعارات البصرية والخيال العلمي، وعرض الأسئلة الفلسفية، وتوق الإنسان إلى الفهم والخلاص^(٤).

ويحدد الباحثون أنّ هناك المئات من الأفلام الدينية، التي انتجتها السينما الغربية بشكل عام، وأنّ الأفلام التي اختصت منها بحياة الأنبياء تراوحت ما بين حوالي ٢٠٠ فيلم عن النبي عيسى ﷺ، و١٠٠ فيلم عن النبي موسى ﷺ بشكل مباشر أو غير مباشر، و٤٢ فيلماً عن بوذا^(٥).

الإسلام في السينما الأميركية

إن هيمنة صناعة الأفلام الأميركية على الساحة الغربية والعالمية، جعلها هي المصدر الأول لبناء الصورة النمطية للشخصية الإسلامية والإسلام بشكل عام، إذ اسست لربط الإسلام بالعرب حصراً، ومن ثم استهدفت العرب بتنتاجاتها من الأفلام والقصص، وربطت بينهم وبين الجنس والخمور، والغباء، والبحث عن المال وغيرها من الخصائص المنحطة، حتى توصل لجمهورها بشكل مختصر الفكرة القائلة بأنّ الإسلام «ولد في بيئة بدوية مجرمة متعصبة جاهلة، وبقي إلى الآن يحمل ملامح هذه البيئة وإجرامها».

ومن أبرز الباحثين الذي حدد ذلك بناءً على بحوثه العلمية ومتابعته هو جاك شاهين في كتابه الذي بحث في الصورة الشريرة للعرب في السينما الأميركية، حاول فيها فحص وتحليل (٩٠٠) فيلم، منها (١٢) فيلماً تحمل الصورة الايجابية للعرب. فيما وجد (٥٠) فيلماً يقدم صورة تكاد تكون متوازنة، اما ما تبقى فقد حملت الصورة السلبية في معالجتها الصورية والمعنوية، (لقد تعرض الاسلام بصورة خاصة الى معالجة ليست عادلة، واليوم يربط صناع الصور بانتظام بين العقيدة الاسلامية والسيادة الذكورية، والحرب المقدسة، وعمليات الإرهاب، التي تصور العرب المسلمين بوصفهم أعداء ودخلاء غرباء وأشرار فاسقين، وعندما تظهر على الشاشة صور المآذن تقطع الكاميرا حتماً الى العرب، وهم يسجدون، ثم مباشرة وهم يصوبون بنادقهم



نحو المدنيين، مثل هذه السيناريوهات أصبحت معتادة واعتيادية^(٦).

وقد شهد تاريخ السينما الأميركية إنتاج عدد كبير من الأفلام المعادية للإسلام والمسلمين، في خطاب ديني ذرائعي متطرف، ينمّي الكراهية ويبرر أيديولوجيا العدوانية حيال المسلمين، فلطالما أظهرت السينما الأميركية علاقة صعبة مع الثقافة الإسلامية، لتتجه في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي إلى خطاب ديني محتقن بالإسلاموفوبيا، إلا أن هذا الخطاب أضحى أكثر تطرفاً بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م، ليتحوّل إلى تشويه لصورة الإسلام ونبّيه، عبر عدد من الأفلام والأعمال المسيئة لشخص الرسول ﷺ، الذي صوّر النبي محمداً في صورة شخص زير نساء، وذلك بالتعرّض لحياته الجنسية بشكل متطرف ومغرض، يتضمن ضرباً مباشراً للعقيدة الإسلامية، وهي أقصى حالات الانزلاق الخطابي الثقافي في السينما الأميركية^(٧).

السينما العربية والأفلام الدينية

ترجع الانطلاقة الأولى لإنتاج الأفلام الدينية في المنطقة العربية إلى جمهورية مصر العربية، إذ إن السينما في تلك الدولة حاولت مواكبة السينما الغربية فينتاجاتها الفيلمية، فأنتجت عدداً من الأفلام الدينية تراوح ما بين ١٠-١٣ فيلماً، منها أفلام تندرج تحت بند الأفلام التاريخية، ومنها (٤) أفلام تتحدث عن ميلاد الإسلام في شبه الجزيرة العربية. وكان أبرز هذه الأفلام وأشهرها فيلم «من عظماء الإسلام» الذي يتناول قصة حياة الخلفاء الأربعة، بعده فيلم «هجرة الرسول» وهو ثاني أشهر الأفلام الدينية في السينما المصرية، وتم إنتاجه عام ١٩٦٤. يأتي بعد ذلك فيلم «فجر الإسلام» وتم إنتاج الفيلم عام ١٩٧١، ثم فيلم «الرسالة» آخر أفلام السينما المصرية للمخرج الراحل مصطفى العقاد، الذي تمّ إنتاجه عام ١٩٧٧، ومنذ ذلك الوقت لم يتم إنتاج أي أعمال دينية جديدة، وما زالت القنوات الفضائية تبث هذه الأفلام نفسها في كل مناسبة دينية^(٨).

لم تنصف السينما العربية الدين في أفلامها؛ لأن ما هو موجود في الأرشيف العربي من الأفلام الدينية ليس بالكثير أبداً، وإن كانت قد تناولت الحقب التاريخية في أفلامها ومسلسلاتها، لكنها لم تتناول سيرة أيّ نبي إلا عن طريق تناول موضوع الإسلام بشكل عام. ولم تسلم هذه الأفلام من بعض التحريف والاقتباس غير الأمين لسيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأن المصادر التي اعتمدت عليها فيها الكثير من الإشكالات والمغالطات^(٩).

ولعل الذي جعل هذه السينما وصانعي الأفلام فيها من الاعتكاف عن انتاج الأفلام الدينية هو ما تعرض له فيلم «الرسالة» في عام ١٩٧٦ من حملات شعواء، تمثلت بموجة شديدة من المعارضات في كل من مصر والسعودية، وامتدت الاعتراضات حتى شوارع الولايات المتحدة الأمريكية قبل عرض الفيلم بمدة وجيزة، تحولت فيما بعد الى أعمال شغب من قبل حركة المسلمين السود في اميركا^(١٠).

هل هناك تغييب مقصود لواقعة الغدير؟

في السينما الغربية

لقد حرصت السينما الغربية في نتاجاتها على أن تكون انماط تمثيل الإسلام لا تخرج عن ستة أصناف رئيسة، هي:

١. الإسلام كتهديد أمني للحضارة الغربية، وكأنه يمثل عقيدة قائمة على الإرهاب والقتل والإجرام.

٢. الإسلام المبني على صورة نمطية استشراقية، حددها المستشرقون الأوائل، الذين حرصوا أن يجعلوا من الإسلام ديناً نداءً وضداً، يمكن أن يستهدف عقيدتهم ودياناتهم.

٣. الإسلام من نظرة المهاجرين والهاربين من بلادهم، نتيجة الضغوط التي تولدها المعتقدات الإسلامية، أو الحكومات التي

تحكم بهذا الدين.

4. الإسلام ساحة للصراع والحرب، البعيد عن السلام والاستقرار المجتمعي، القائم على العادات اللاإنسانية.

5. الإسلام التاريخي القائم على الصراع الحضاري، وأن الغرب لابد أن يقضي عليه، لأنه يمثل طبيعة توسعية قائمة على الفتوحات والانتصارات العسكرية.

6. الإسلام كمصدر للإرهاب في العالم، من خلال استغلال بعض الانحرافات للجماعات والأجندات المتطرفة لتثبيت هذا الواقع، وإن كانت تلك الجماعات لا تمت للإسلام بصلة.

وعند التأمل فيما تقدّم، نجد أنّ الدخول في ذكر واقعة الغدير ضمن التناجات السينمائية لا يتسق مع تلك التوجهات والصور النمطية التي تحاول السينما الغربية أن تثبتّها، فهي تعدّ الإسلام تهديداً وجودياً لها، فكيف لها أن تدخل ضمن سياساتها الإنتاجية ما يصب في أطر تختلف عن توجهاتها، وإذا حاولت أن تدخل واقعة الغدير من ضمن سياساتها في الإنتاج السينمائي؛ باعتبار أن هذه الواقعة حدث مفصلي في التاريخ الإسلامي، وأنه حاضر بقوة في الخطاب الديني، فإنه سيصطدم بعوامل أخرى، تُعيق عملية إنتاجه أو تسويقه، بما يعرف بـ (الاقتصاد السياسي للإنتاج السينمائي)، إذ إنّ أي مشروع يُقيّم على وفق الربحية والقابلية للتسويق ومستوى المخاطرة، وهذا بالتأكيد لا يتناسب مع واقعة الغدير من كونها تشتمل على حساسية مذهبية، وتقع في دائرة صلب الدين الإسلامي، أي أنه غير مفهوم عالمياً، بل من المسلمين فحسب، فضلاً عن وجود الرقابة غير المباشرة التي تتمثل بشركات الإنتاج العالمي، إذ إنّ كثيراً من هذه الشركات لها أصول يهودية أو رؤوس أموال خليجية، تراقب من بعيد المحاولات لإنتاج أفلام سينمائية، تتحدث عن واقعة الغدير أو تشير إليها، لتستدرجها بالإقصاء والمحاربة.

من هنا فإن السينما الغربية، ونتيجة لعملها كمنظومة إعلامية -

اقتصادية، تميل إلى استبعاد الموضوعات العقدية المعقدة والحساسة، وتفضل بدلاً منها سرديات أكثر بساطة وقابلية للتسويق، فإنها تستبعد «واقعة الغدير» بشكل مقصود لأنها لا تصب في مصلحتها لا اقتصادياً ولا فكرياً، إذ إن تسويق مثل هكذا وقائع يمكن أن يمثل اعترافاً ولو ضمنيّاً بالإسلام بوصفه ديناً مُعترفاً به.

في السينما العربية

لا يخفى على كل متابع أنّ هناك تغييراً مقصوداً من قبل السينما العربية لكل ما يرتبط بالتأجّات الدينية، التي تحاول أنّ تشير ولو من بعيد إلى القضايا المرتبطة بالعقيدة المخالفة لمذهبها أو طائفتها الدينية، التي ترتبط في الغالب مع أنظمة الحكومات العربية التي تعتنق تلك الطوائف والمذاهب.

بل انها تضع رقابة مشددة على كل نتاج سينمائي يمكن أن يسلط الضوء على جوانب لا تنسجم مع ثقافتها الدينية، فكيف بها الحال وهي تتعامل مع واقعة غدير خم، بعدها حدثاً محورياً في التاريخ الإسلامي، ارتبط بخطبة النبي ﷺ وتفسيرها المختلف بين السنة والشيعة، حول مسألة الخلافة وولاية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمسلمين بعد رسول الله محمد ﷺ!

فهم وقفوا ضد فيلم «الرسالة» بشكل متآزم وعلى الصعيد كافة، على الرغم من ان الفيلم يتناول بدايات الإسلام فحسب، وحجب واقعة الغدير من مشاهد الفيلم، واكتفى بنقل أجزاء من وصايا الرسول في «خطبة الوداع»، إذ استعاضوا عن خطبة الغدير بتسميتها بهذا الاسم، ونقل منها أجزاء بسيطة، حرص القائمون على إنتاج الفيلم ألا يكون لها ذكر لا من قريب ولا من بعيد، على الرغم من تواترها وثبوتها تاريخياً عند المذاهب الإسلامية كافة.

وعلى الرغم من أنّ هذا الفيلم اضطر لاستخدام الكاميرا بوصفها بديلاً عن شخصية النبي ﷺ ليخرج من دائرة المنع والرفض، إلا أنّ القائمين على إنتاج الفيلم واجهوا منعاً آخر تمثل بعدم قبول تجسيد

الصحابة في التتاجات السينمائية.

ووقفوا أضعاف ذلك من الاحتجاجات والإضرابات من أجل منع عرض فيلم (محمد رسول الله)، على الرغم من أن الفيلم يركز على طفولة النبي ﷺ، ولا يتعرض لواقعة الغدير لا من قريب أو بعيد، ولكن بسبب من كونه انتاجاً سينمائياً إيرانياً، يُحتمل أن يتعرض لهذه الواقعة أو وقائع أخرى تشير إلى مضامين مشابهة.

من الجهات التي تقف وراء المنع؟

مثلت المملكة العربية السعودية بمؤسساتها الدينية، والأزهر في مصر بمؤسساته المختلفة، واحدة من أبرز جهات المنع المباشر لإنتاج فيلم عن «واقعة الغدير» وغيره من الأفلام الدينية، التي يمكن أن تستعرض البدايات الأولى الصحيحة لظهور الدين الإسلامي ومراحل انتشاره، ويمكن القول: إن هناك ما يُعرف أيضاً بالـ «الضغط السياسي والاقتصادي» الذي انتهجته بعض الدول من أجل الضغط على السينما العالمية لعدم إنتاج أفلام تخالف توجهاتها الدينية أو معتقداتها المذهبية.

فدولة مثل السعودية والدول التي ترتبط بها، التي تملك سوقاً سينمائياً ضخماً، واستثمارات في الترفيه العالمي، و(لوبيات) عالمية في الدول الغربية، فضلاً عن شركات الانتاج السينمائي، كيف يمكن أن تسمح بإنتاج أي فكر يخالف معتقداتها أو حتى ادعاءاتها، فضلاً عن تجسيد هذه الواقعة «واقعة غدير خم» بفيلم سينمائي يرتبط بخلاف عقدي، يمكن أن تمثل دليلاً على ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فضلاً عن أن حتى الجهات التي ليس لديها تطرف مشابه لما موجود في العقيدة «الوهابية»، ومنها «الأزهر» في مصر، أو باقي الجهات المرتبطة بها، تدخل في موجة الصدام والممانعة إذا ما كانت هناك بادرة لإنتاج فيلم سينمائي يمكن أن يجسد الأحداث التاريخية، التي رافقت الحقب الأخيرة من حياة الرسول الأكرم محمد ﷺ، أو حتى تتحد مع عقيدة الوهابية من أجل منع ظهور مثل هذه الأفلام.

وهذا ما شاهدناه في فيلم «محمد رسول الله» ذي الانتاج الإيراني، بعد أن هاجم مفتي السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ هذا الفيلم، بالقول إنه «تشويه للإسلام»، وقوله أيضاً عنه «فيلم مجوسي وعمل عدو للإسلام» مدعياً أن عرضه «لا يجوز شرعاً». ثم تلتته في الرفض المؤسسات المرتبطة بها كرابطة العالم الإسلامي التي هي مؤسسة دينية تتخذ من السعودية مقراً لها، والهيئة العالمية للتعريف بالنبي محمد في السعودية، والأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، التي هي أيضاً هيئة دينية حكومية في السعودية.

كما أيد الأزهر هذه الدعاوى الوهابية بعد أن أبدى الأزهر اعتراضه على هذا الفيلم مبرراً ذلك بحرمة تجسيد الأنبياء والرسول في الأعمال الدرامية والفنية.

محاولات لإنتاج فيلم لـ «واقعة الغدير»

على الرغم من ظهور إشارات لواقعة الغدير في بعض التناجات الدينية الإسلامية الإيرانية، ولكنها ليست في سياق الخلافة والوصاية الظاهرة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما نقلها لنا الروايات الصريحة بهذه الواقعة، ومنها تلك التي ظهرت في مسلسلات مثل «مسلسل الإمام علي» وبعض صحابة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم المرتبطين بتلك الواقعة، إذ إن واقعة الغدير تذكر غالباً بشكل عابر أو تفسيري، وليس كحدث درامي مستقل.

ويمكن القول: إن واقعة الغدير تُعد من «المناطق المسكوت عنها سينمائياً»، بسبب تقاطع الدين مع السياسة والهوية المذهبية، وهو ما يجعلها خارج اهتمام السينما العالمية التقليدية.

فالإعلام العالمي والعربي يستند في انتاج الأفلام الدينية إلى ثلاث نظريات إعلامية معروفة، هي: نظرية وضع الأجندة، ونظرية الاستشراق، ونظرية تحليل الخطاب، إذ تعد هذه النظريات هي التي تفسر كيف يتم اختيار ما يُعرض وما يُهمّش في الإعلام العالمي.

وملخص هذه النظريات تُفسّر سلوك السينما العالمية بأنها لا تتجاهل القضايا العقيدية الإسلامية صدفه، بل تمارس إقصاءً بنيوياً لها، لأنها لا تتوافق مع منطق السوق، ولا مع بنية السرد الغربي، ولا مع توازنات القوة الثقافية العالمية، وفي الوقت ذاته قد تنتج أعمالاً تُقدّم على أنها مسيئة، كالإرهاب والمجون والرقص والغباء والدونية؛ لأن النظام الإعلامي يعمل على وفق انتقائية بنيوية، تفضّل السرديات البسيطة المتوافقة مع التصورات الغربية، وتتجنب السرديات المعقدة ذات الحساسية المذهبية العالية.

انتاج فيلم يُعنى بـ «واقعة الغدير»

وفي الختام يمكن القول: إنّ انتاج فيلم يُعنى بواقعة الغدير يمكن تطبيقه نظرياً، إلا أنه لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع في غياب الرؤية الحقيقية والاستراتيجية، التي يمكن أن تجعل تحقيق ذلك ممكناً، ومنها: التوجه الحقيقي لصناع القرار، ورؤوس الأموال، إلى جانب التخطيط والتنفيذ لإنشاء شركات إعلامية سينمائية، مقتدرة فنياً؛ وقادرة مالياً، يمكن أن تباشر بنفسها انتاج مثل هكذا نتاجات، فما نراه اليوم من محاولة واضحة لشيطنة أتباع اهل البيت (عليه السلام) في كل مكان وزمان، حتى في صراعها مع أعداء الإسلام والمسلمين (الصهاينة) استطاعوا أن يسخروا ماكتهم الإعلامية من أجل نقل هذا الصراع إلى دائرة المذهبية، وكيف حولوا وسائل إعلامهم إلى أبواق ضد الإسلام الأصيل المتمثل بمذهب أهل البيت (عليه السلام)، ودخلوا في حرب مباشرة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لا لسبب إلا لأنها قد حملت لواء التشيع في نظامها الإسلامي.

الهوامش:

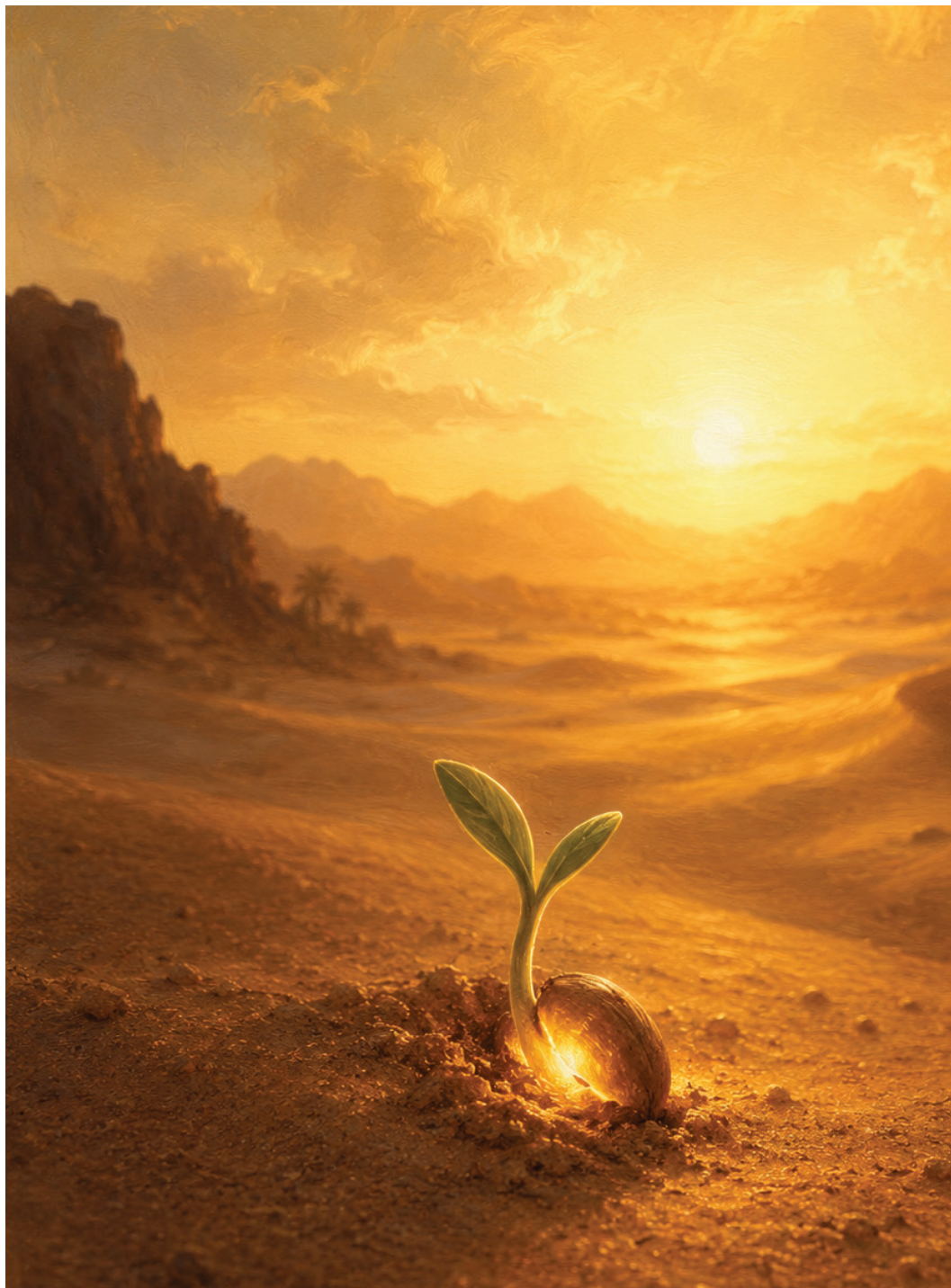
- و(٣) الأفلام التاريخية والدينية.. دراسة في نشأتها وأسباب توقف إنتاجها في مصر، إمام الليثي، منتدى الدراسات المستقبلية، تاريخ المشاهدة: ٢٧/٣/٢٠٢٦ م، وعلى الرابط الإلكتروني: <https://future-studies-forum.com/الأفلام-التاريخية-والدينية-دراسة-في-ن/>
- و(٤) كيف عاجلت السينما الغربية القضايا الدينية؟، شريف صالح، ٢ تموز ٢٠٢٥، تاريخ المشاهدة: ٢٧/٣/٢٠٢٦ م، وعلى الرابط الإلكتروني: <https://www.independentarabia.com/node/٦٢٧٠٤٩/ثقافة/كيف-عاجلت-السينما-الغربية-القضايا-الدينية؟>
- و(٥) و(١٠) فيلم محمد رسول الله، تبشير ثقافي واعتراض سياسي، حيدر محمد الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ايلول، ٢٠١٥ م، المشاهدة: ٢٨/٣/٢٠٢٦ م، وعلى الرابط الإلكتروني: <https://icss.iq/?id=40&sid=33>
- و(٦) تجسيد الـ «الأنثى» في سينما الآخر صورة العرب والمسلمين في السينما العالمية، د. صالح الصحن، صحيفة الصباح الجديد، الخميس ٢٦/٣/٢٠٢٦ م، الساعة ١:٥٦ ظهراً، وعلى الرابط الإلكتروني: <https://newsabab.com/newspaper/٢٠٤٠٨٣/>
- و(٧) الخطاب الديني في السينما العالمية بين ثنائية الحوار والصراع: دراسة تحليلية للفيلم البولويودي «My name is Khan»، صابر بقور، مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر، ٢٨/يناير/٢٠١٧، تاريخ المشاهدة: ٢٦/٣/٢٠٢٦ م، وعلى الرابط الإلكتروني: <https://www.mominoun.com/articles/الخطاب-الديني-في-السينما-العالمية-بين-ثنائية-الحوار-والصراع-دراسة-تحليلية-٤٧٢٧>
- و(٨) و(٩) قضايا معاصرة: التأريخ الديني في السينما العربية والإيرانية، مجلة بقية الله، ونام أحمد، ٣٠-١٠-٢٠١٤ م، تاريخ المشاهدة: ٢٦/٣/٢٠٢٦ م، وعلى الرابط الإلكتروني: <http://baqiatollah.net/article.php?id=٢٠٤٩>



شبهة تأخر التفسير الشيعة لواقعة الغدير

قراءة نقدية تاريخية

تُعدّ واقعة غدير خم من أبرز الأحداث التي دار حولها الجدل في التأريخ الإسلامي، ولا سيما في مسألة دلالتها على الإمامة، إذ من الشبهات المعاصرة المتداولة القول إن فهم الغدير بوصفه نصاً على إمامة علي بن أبي طالب هو تفسير متأخر نشأ في أوساط لاحقة، ولم يكن حاضراً في الوعي الإسلامي الأول، هذه الدعوى تبدو للوهلة الأولى منسجمة مع فكرة تطور الأفكار عبر الزمن، لكنها تحتاج إلى تفكيك علمي دقيق يميز بين نشأة الفكرة، وتدوينها، وشيوعها.



أول ما ينبغي ضبطه هو مفهوم (التأخر) فهل المقصود غياب التفسير في القرن الأول الهجري؟ أم عدم بروزه في المدونات التي وصلت إلينا؟ هذا التفريق أساسي؛ لأن الاعتماد على ما وصلنا فقط قد يؤدي إلى نتائج مضللة بسبب طبيعة التدوين التاريخي في القرون الأولى، وكثير من النصوص والمواقف لم تُدوّن إلا في مراحل لاحقة، ومع ذلك تُنسب إلى فترات مبكرة، مثال ذلك ما يتعلق ببدايات الجدل السياسي بعد وفاة النبي ﷺ إذ ظهرت الخلافات مباشرة في سياق سقيفة بني ساعدة، وهو ما يدل على أن مسألة القيادة كانت مطروحة منذ اللحظة الأولى، وليست نتاج تطور متأخر.

تُظهر المصادر الحديثية أنّ حديث الغدير نُقل عبر عدد كبير من الرواة، وبأسانيد صحيحة ومختلفة، وقد ورد في مصنفات متعددة عند أهل السنة والشيعة، هذا الانتشار المبكر للنص يفتح سؤالاً منهجياً: كيف يمكن فصل النص عن تفسيره بشكل كامل؟ إن وجود نص يتضمن مفردات مثل (الولاية) وارتباطه بسياق جمع عام وخطاب رسمي، يوفّر أرضية لتعدد القراءات منذ البداية، ولا يُحصّر التفسير في مرحلة زمنية متأخرة.

من جهة أخرى، تشير بعض الروايات التاريخية إلى أنّ الربط بين الغدير والإمامة كان مطروحاً في نقاشات مبكرة، حتى لو كانت هذه الروايات محل خلاف في التوثيق، وقد أثير عن أهل البيت (عليهم السلام) الاستدلال بحديث الغدير في مواقف لاحقة، وهو ما يعكس حضور هذا الفهم في الجدل السياسي، وقيمة هذه الروايات تكمن في كونها شواهد على تداول التفسير.

ينبغي كذلك الانتباه إلى أنّ التدوين المنهجي للعقائد الإسلامية جاء في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وهي مرحلة شهدت تبلور المدارس الكلامية والفقهية، وفي هذا السياق، أصبح تفسير الغدير جزءاً من بناء نظري متكامل داخل الفكر الإمامي، هذا التطور لا يعني نشأة الفكرة في ذلك العصر، وإنما يشير إلى انتقالها من مستوى التداول إلى مستوى التنظير، وهذه الظاهرة معروفة في تاريخ العلوم، إذ تتأخر الكتابة

المنهجية عن الممارسة الفعلية للأفكار.

كما أنّ السياق السياسي لعب دوراً في إبراز بعض القراءات وإضعاف أخرى، فالفترات التي خضعت لسلطة استبدادية، مثل الدولة الأموية، شهدت توجهاً نحو تثبيت شرعية معينة، وهو ما قد يؤثر في طريقة نقل بعض الأحداث أو تفسيرها، ودراسة هذا العامل تساعد في فهم كيفية تشكل الذاكرة التاريخية، دون افتراض أنّ جميع الروايات تعكس واقعاً محايداً.

لذا من الناحية المنهجية، تحتاج دعوى التأخر إلى تقديم دليل إيجابي، كإثبات غياب أي إشارة مبكرة إلى هذا التفسير، مع تفسير أسباب ظهوره لاحقاً، في المقابل، وجود مؤشرات على تداول الفكرة في فترات مبكرة يضعف هذه الدعوى، ويجعلها أقرب إلى فرضية غير مكتملة.

في ضوء ذلك، يمكن القول إن تفسير الغدير بوصفه دليلاً على الإمامة مرّ بمراحل: تداول أولي في سياق الجدل السياسي، ثم حضور في الروايات، ثم بناء نظري داخل المدارس الكلامية، هذا المسار يعكس طبيعة تطور الأفكار الدينية، إذ تتداخل النصوص مع الواقع السياسي والاجتماعي.



